

إيران

دراسة عن
الثورة والدولة

د. وليد عبد الناصر

دار الشروق

إيران

دراسة عن
الثورة والدولة

الطبعة الأولى

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

دار الشروق

أسسها محمد المصطفى عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيديي مصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص.ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

د. وليد عبد الناصر



دراسة عن
الثورة والدولة

دار الشروق

الوفاء

إلى روح أُمى الطاهرة ،
وهى التى علمتنى أن « الحكمة ضالة المؤمن » وأن العلم
الصحيح هو الذى ينفع البشر من خلال تحسين فهمهم
لأحوالهم وللعالم من حولهم .

تقديم

لازلت أعتقد أن ما جرى في إيران منذ قيام الثورة فيها حتى الآن، لم ينل حقه من التحليل الموضوعي لأسباب يطول الحديث عنها، فبرغم كثرة الكتابات حولها والدراسات بشأنها إلا أن طبيعة الأحداث وتوابعها، جعلت الأحكام عليها ذات طبيعة قيمية تتلون وفقاً لمعتقدات أصحابها وتوجهاتهم الفكرية، وربما أهوائهم الشخصية. . فأصبحنا أمام كم هائل من الأبحاث التي تأخذ موقفاً محدداً من الثورة لا يعتمد - في معظمه - على الجانب الموضوعي ولكنه يقف دائماً على الحافة بين التأييد التام أو الرفض الكامل، وكلا الموقفين يعبر عن وجهة نظره تجاه الحقيقة ويتبعده عن الواقع، إذ أن بين الأبيض والأسود درجات متفاوتة لظلال مختلفة تقع بينها مراحل التقييم الموضوعي لذلك الحدث الضخم على مستويات العالم المعاصر. .

ونحن في هذا الكتاب بصدد باحث جاد ينتمى إلى جيل الشباب ولكنه تجاوز مرحلته العمرية إلى درجة أرقى من النضج الفكري والإحكام النظري والدقة العلمية، تهيأت له بطول البحث وعمق الدراسة ومواصلة الطريق على امتداده دون التوقف عند درجة الدكتوراه التي حصل عليها منذ سنوات في موضوع يقترب من دراسة العناصر الراهنة « للإسلام السياسي » بشكل وضعه بارتياح بين قائمة متميزة من أبناء جيله، تتمثل في عدد من الباحثين المرموقين الذين يحاولون إثراء المكتبة السياسية بعدد من المؤلفات والكتابات التي تفتح آفاقاً رحبة للبحث العلمي، وتطرق بأساليب جديدة للتحليل السياسي، وتعطي مساحات واسعة لحرية الفكر وموضوعية الرأي ووضوح الرؤية. .

وواقع الأمر أن الكتابة عن إيران - حكماً وسياسة - تثير الاهتمام الواسع سعياً نحو تقييم تلك الثورة الإسلامية بكل ما لها وما عليها، لأن آثارها لا تقف عند حدود الدولة

الإيرانية ولكنها تتجاوز ذلك إلى تأثيرات أكبر تحتوى منطقة الخليج وتمتد إلى الشرق الأوسط كله، وترك بصمات قوية على رؤية الآخرين لصورة الإسلام والمسلمين في عيون العصر، كما أن العديد من أحداثها أصبحت رموزا فرضت نفسها على قاموس السياسة الدولية في العقدين الآخرين، وأصبحت قاسما مشتركا في العديد من الدراسات التي تتصل بالنظم السياسية أو العلاقات بين الأمم والثقافات . . بين الدول والشعوب.

دعنى اهنيى الباحث الدكتور وليد عبد الناصر على همته الدراسية، وأمانته العلمية، متمنيا له التوفيق على صعيدى الفكر والحركة . . البحث الأكاديمى والعمل الدبلوماسى . . متوقعا منه وله كل إضافة جادة، وإسهام مفيد، ورؤية ثاقبة، ووعى بآمال أمتة وأهداف وطنه، فى عالم يتغير بصورة فاقت كل التوقعات، وتجاوزت كافة الاحتمالات .

د. د. طه الفقى

المقدمة

شكلت الانتخابات السابعة لرئاسة الجمهورية الإسلامية الإيرانية، التي جرت يوم ٢٣ مايو من هذا العام، محطة بالغة الأهمية والدلالة في مسيرة الثورة الإيرانية منذ انتصارها في فبراير ١٩٧٩ م. ولا نعتقد أن في الأمر مجافاة للواقع إذا قلنا إن هذه الانتخابات قد تمثل نقطة تحول نوعي، وذات طابع تاريخي في مسيرة هذه الثورة عبر نتائجها التي كانت غير متوقعة، من جانب غالبية المراقبين والمحللين السياسيين حتى قبل بدء العملية الانتخابية بأيام قليلة. فجاءت الانتخابات بحجة الإسلام محمد خاتمي الوزير السابق - الذي كان خارج الدائرة الضيقة للسلطة منذ سنوات - رئيسا للجمهورية مدعوما من تيار اليسار الإسلامي ومعظم تيار الإعمار والبناء - المؤيد لسلفه رفسنجاني - داخل النخبة الحاكمة، وفي مواجهة رئيس المجلس (البرلمان) حجة الإسلام علي ناطق نوري المدعوم من الدوائر المحافظة في صفوف هذه النخبة.

لقد حظيت هذه الانتخابات باهتمام إقليمي وعالمي غير مسبوق، منذ انتخابات الرئاسة الأولى التي جرت في يناير ١٩٨٠. وثبت أن هذا الاهتمام كان مستحقا. إن أحدا لا يمكنه الادعاء بالقدرة على التوقع بشكل يقيني إلى أين ستتجه إيران برئاسة خاتمي؟ ولكن من المفترض أن الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي داخل إيران من جهة، ومتغيرات البيئتين الإقليمية والدولية المحيطتين بإيران ستتفاعل ضمن صيغ ومعادلات بعضها سيشكل تطورا وتعديلا على ما كان سائدا حتى الآن بينما البعض الآخر سيكون مستحدثا وجديدا. وقد تفرز هذه التفاعلات مشاهد جديدة لإيران في الداخل والخارج وهيتمر بمرحلة حاسمة من التحول من الثورة إلى الدولة، أي إلى تعميق مؤسسات الدولة وتأصيل دورها على مستوى النظرية والممارسة في إطار من توازن تلك السلطات، وضمان فاعلية المشاركة الشعبية. وقد يتطلب ذلك مراجعة للدستور الإيراني في مرحلة لاحقة، أو حتى إعادة بلورة لبعض أسسه مثل طبيعة سلطات «الفقيه» وحدودها وغير ذلك من المسائل.

وفي ضوء كل ماسبق ، يعتبر هذا الكتاب — وبحق — مساهمة ذات قيمة وفائدة في هذا الوقت بالذات لمساعدة القارئ وكل من يقرأ باللغة العربية في أى مكان بالعالم على فهم سيرة إيران الثورة في أبرز معالمها وأهم محطاتها ، حتى وصول حجة الإسلام محمد خاتمي إلى سدة الرئاسة الإيرانية . ولا يقتصر هذا الفهم على القشور وما يبدو على السطح ، بل يتعمق في أغوار الأحداث ليحللها ويربطها ببعضها البعض بمنهج موضوعي وعلمي ، نأمل أن يحظى بتقدير كل من يطلع عليه .

إن الدور السياسي للأديان يتحدد إلى حد كبير بناء على الأنظمة أو القوى التي تحمل لواء هذا الفكر الديني أو ذاك ومصالحها ، والإطار السياسي ، والاقتصادي ، والثقافي ، والاجتماعي ، الذي تتحرك بداخله .

وقد تميزت الثورة الإيرانية منذ انتصارها في فبراير ١٩٧٩ بالسعي لإعطاء صورتين داخلية وخارجية تعكسان مساراً داخلياً ودوراً خارجياً يفترض اتساقهما مع الحس الرسالي الذي حملت الثورة لواءه .

وتناولت العديد من الكتابات الثورة الإيرانية وتاريخها وتطوراتها ، ورغم كثرة ماكتب وذكر عن ثورة ١٩٧٨ / ١٩٧٩ في إيران ، فإن الكثير من جوانب هذه الثورة مازال بعيداً عن تناول أيدي الباحثين . وضمن تلك الجوانب شخصيات لعبت أدواراً رئيسية سواء في الإعداد للثورة - على المستويين الفكري والسياسي - أو في قيادتها ، أو في المراحل التي تلت انتصار الثورة ، ومن هذه الشخصيات ما تناولته دراسات منشورة في هذا الكتاب . وهما الخاصتان بكل من الدكتور على شريعتي (١٩٣٣ - ١٩٧٧) بآية الله سيد محمود طالقاني (١٩١١ - ١٩٧٩) .

ولتأني أهمية آراء المفكرين من الدور المركزي الذي لعبته في حالة الثورة الإيرانية وما تلاها من تطورات سياسية ، وإنما تنبع أيضاً من كون مختلف التيارات الموجودة - بشكل أو بآخر - في سدة الحكم في إيران بعد ثورة ١٩٧٩ / ١٩٧٨ - بمن في ذلك الشخصيات ذات الدور القيادي - قد بلورت توجهاتها وتحديداتها في مجال السياسة الخارجية باعتبارها تفسيرات وشروحات متسقة مع آراء هؤلاء المفكرين - وفي مقدمتهم بلاشك الراحل آية الله الخميني - بالإضافة إلى سعي تلك التيارات وقادتها إلى جعل آراء هؤلاء المفكرين السند الأيديولوجي للسياسات التي يتبنونها أو يروجون لها وبشكل خاص في المجال الخارجي ، وتلجأ تلك التيارات وأولئك القادة إلى أقوال الرموز الفكرية والسياسية بهدف إخفاء شرعية ، وبالتالي الحصول على دعم لمواقفهم - بما

يتضمن مايتصل بالقضايا الخارجية - بينما يتهم كل تيار مخالفه في وجهات النظر بالتخلي عن « فكر الثورة » ، وهو الموضوع الذى تتعرض له الدراسة الثالثة الواردة بهذا الكتاب .

ورغم مايمكن أن يكون للمرء على الثورة الإيرانية وماتلاها من مسار من ملاحظات أو تحفظات أو انتقادات ، فلاشك أن بقاء الثورة فى الحكم فى إيران يمثل فى حد ذاته مصدر إلهام للعديد من التيارات والقوى ذات النزعات السياسية « الإسلامية » عبر أنحاء العالم الإسلامى ، وخاصة أن بعض تلك التيارات والقوى قد استعارت اللغة والشعارات التى كانت الثورة الإيرانية وماتمخض عنها من نظام سياسى أول من رفعها . وستعرض الدراسة الرابعة الواردة بهذا الكتاب إلى ماذكر عن علاقة إيران بجماعات العنف السياسى فى البلدان الإسلامية .

وقد حدثت تطورات متعددة ومتلاحقة فى إيران جعلتها فى قلب الأحداث منذ عقد ونصف من الزمان . وقد جرت هذه التطورات على أكثر من مستوى وفى أكثر من اتجاه ومازال الأمر محل جدل عما إذا كانت الثورة الإيرانية قد أنجزت بالفعل مهام بناء الدولة ومؤسساتها ومعالم سياساتها الداخلية والخارجية ، أم إنها لم تنزل دون اجتياز هذه المرحلة ، وهو الأمر الذى يدفع البعض إلى اعتبار الثورة الإيرانية تقف على مفترق طرق هام وبارز وربما يكون حاسما أيضا ، وهو ماتتناوله آخر الدراسات الواردة بهذا الكتاب . وتزداد - برأينا - أهمية هذه الدراسة - وغيرها من الدراسات الواردة فى هذا الكتاب - أكثر وأكثر فى ضوء الانتخابات التشريعية التى جرت فى إيران فى مارس ١٩٩٦ ونتائجها ، وكذلك فى ظل نتيجة الانتخابات الرئاسية الأخيرة التى أتت بحجة الإسلام محمد خاتمى رئيسا للجمهورية . حيث إن كليهما سيكون له تأثير ذا دلالة على مسارات تطور الثورة والدولة فى إيران - على الصعيدين الداخلى والخارجى على حد سواء .

ويمثل هذا الكتاب فى مجموعه - وبكل مايجويه من دراسات - محاولة نزعهم أنها علمية وموضوعية وملتزمة فى آن واحد - لاستكمال حلقة جديدة من حلقات فهم الثورة الإيرانية ومايتبعها من تحولات ، سواء على مستوى الفكر أم الأحداث ، وبكل انعكاساتها على الأصعدة المحلية والإقليمية والدولية .

وليد عبد الناصر

الفصل الأول

الدكتور علي شربعتي وتجديد الفكر الإسلامي

رغم الإقرار بالتأثيرات العقائدية والايديولوجية المختلفة على أفكار وآراء المفكر الإيراني الراحل الدكتور على شريعتي (١٩٣٣ - ١٩٧٧) وبخصوصية الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي نشأ وتطور في إطارها هذا الفكر ، فإنه مما لاشك فيه أن الدكتور شريعتي قد لعب دوراً تاريخياً ليس فقط في إحياء بل وإعادة تفسير الفكر الإسلامي - خاصة الشيعي - من منظور تجديدى .

أولاً - خلفية تاريخية عن الدكتور على شريعتي

ولد الدكتور شريعتي في قرية مازينان في إقليم كفير الصحراوى الواقع شرق إيران عام ١٩٣٣ . وكان والده السيد محمد تقى شريعتي داعية إسلاميا أمضى أربعين عاما من حياته في الدعوة للدين الإسلامى على أسس علمية وتقدمية ، وقد انضم لاحقا إلى حركة تحرير إيران ذات التوجه الإسلامى الإصلاحى والتنويرى أسسها كل من المهندس مهدي بازرجان وآية الله طلقانى . وقد تأثر الدكتور على شريعتي بأفكار والده (١) . وفى سن الثامنة عشرة ، عمل على شريعتي كمدرس بمدرسة ثانوية ، بينما كان يواصل دراسته في كلية المعلمين في مشهد ، وكان يقرأ بشكل مكثف ليتعلم اللغة الفرنسية ولغات أجنبية أخرى (٢) .

وفي نهاية الأربعينات ، انضم على ووالده إلى جماعة صغيرة من المثقفين سمّيت بجماعة « الاشتراكيين الذين يخشون الله » نهضت - خوذا - بإراستان سوساليست « التى كانت إحدى أبرز الجماعات المعارضة لحكم الشاه عقب انقلاب عام ١٩٥٣ المعادى للدكتور مصدق (٣) . وشكل هذا الدور دليلا مبكرا على توجهات يسارية لدى الدكتور على شريعتي واستعداده لتقبل مفاهيم ذات جذور غربية مثل « الاشتراكية » وقبل مغادرته إيران إلى فرنسا في منحة علمية لدراسة التاريخ وعلم الاجتماع الإسلامى عام ١٩٥٨ ، ترجم الدكتور على شريعتي إلى الفارسية كتاب « أبو ذر الغفارى » للكاتب المصرى عبد الحميد جودة السحار . وكان أبو ذر - كما هو معروف - أحد الصحابة الذين جاهدوا ضد التمايزين الاقتصادى والاجتماعى اللذين بدأ يظهران في

المجتمع الإسلامي عقب وفاة الرسول - ﷺ - ، وخاصة منذ بداية حكم معاوية بن أبي سفيان .

وفي باريس ، أمضى الدكتور على شريعتى فترة خمس سنوات ودرس الفلسفات السياسية الراديكالية ، وانضم إلى فرع حركة تحرير إيران في باريس ، وساهم بمقالات في النشرة التي كانت تصدرها جبهة التحرير الوطنى الجزائرية باللغة الفرنسية في باريس أيضا . وكان اهتمام الدكتور شريعتى مركزا على العمل الفكرى وليس التحريض السياسى أو التظاهر أو إطلاق الشعارات ، وكلها ممارسات دأبت عليها المعارضة الإيرانية في الخارج . ففى باريس ، قرأ شريعتى لفرانز فانون وتعلم منه أفكارا حول التغريب الثقافى والتأثيرات النفسية السلبية التى أتت بها الظاهرة الإمبريالية . كما تأثر الدكتور على شريعتى بعلم الاجتماع الماركسى وبالمستشرق ماسينيون وبفلاسفة ومنظرين ثوريين مثل جارودى وسارتر وجيفارا^(٤) . وفى باريس اكتشف شريعتى أن أيا من الايديولوجيات التى درسها لاتستطيع أن تتفهم بشكل كامل واقع وخصوصية ظروف العالم الثالث عامة ، والعالم الإسلامى بشكل خاص .

وفي بداية عام ١٩٦٤ ، عاد شريعتى إلى إيران وتم اعتقاله فورا . وعقب تحقيق قصير سمح له بتدريس العلوم الإنسانية في كلية الزراعة . إلا أنه فوجئ بعد فترة وجيزة بقبول تعيينه محاضرا في قسم الاجتماع بجامعة مشهد ، كما كان يعطى عددا كبيرا من المحاضرات في مؤسسات وأماكن متعددة عبر مختلف أرجاء إيران . وقد حضر عدد متزايد من طلاب المدارس العليا والجامعات الحديثة هذه المحاضرات - خاصة تلك التى كان يلقيها شريعتى في قاعة « حسينية إرشاد » التى أنشأها أنصار حركة تحرير إيران عام ١٩٦٧ . ويجب على المرء ربط آراء شريعتى بمسألتين : الحضور المكثف لعملاء الاستخبارات الإيرانية (السافاك) في صفوف مستمعيه ، ورغبة شريعتى في أن تصل رسالته إلى أكبر عدد ممكن من الناس - خاصة الشباب . وفى عام ١٩٧٣ ، تعرض شريعتى للاعتقال ثم أفرج عنه في مايو عام ١٩٧٧ ، نتيجة ضغوط الرأى العام العالمى وبشرط مغادرته لإيران^(٥) . وقد ساهم اعتقال شريعتى في انتشار أوسع لخطبه المسجلة على شرائط وكتابات عبر إيران . وقد غادر على شريعتى إيران إلى لندن في يونيو ثم توفي فجأة بعد عدة أيام من وصوله لندن ، إما بسبب أزمة قلبية كما ذكر النظام الشاهنشاهى ، أو نتيجة دس أحد عملاء السافاك له السم في الطعام كما ذكر أنصاره والمعارضة الإيرانية حينذاك .

ثانيا - نظرية الدكتور شريعتى حول التاريخ والحضارة الإنسانية

عرف الدكتور على شريعتى التاريخ بوصفه « مسار على الجماهير الشعبية أن تسير فيه حتى تستطيع إعادة اكتشاف دورها ، وقيمها الحقيقية وحقوقها ، وبالتالي تحديد طبيعة ماتواجهه من كوارث ومن تسبب فيها من أعداء » . ومن خلال هذا الطريق تتمكن الجماهير فى نهاية الأمر من التغلب على نقاط ضعفها والإطاحة بالأنظمة والقوى التى تحول بينها وبين الحصول على السلطة والثروة وتحقيق العدالة ^(٦) .

وقد رأى الدكتور شريعتى فى آلاف السنين من التاريخ الإنسانى أجيالا من البشر تأتى وتذهب ، ولكن تبقى العبودية . وكان للتاريخ دائما موضوع واحد حسب شريعتى : التناقض المستمر والحرب الدائمة بين معسكرين متناقضين . وقد بدأت هذه الحرب منذ بدء الخليقة ، وستنتهى فقط بنهاية الزمان . فقد كانت البداية هى الصراع بين ولدى آدم عليه السلام : هابيل وقابيل . ولم يوافق شريعتى على التفسير التقليدى بأنه كان صراعا أخلاقيا بل رأى فيه صراعا طبقيًا . وقد مثل هابيل معسكر الأخوة الإنسانية والملكية المشتركة لوسائل الإنتاج ، أى بإيجاز مثل المجتمع «التوحيدى» . وعلى الجانب الآخر ، مثل قابيل البدايات الأولى للملكية الفردية - ثم فيما بعد الاحتكارية - والتزييف الدينى ، والتعدى على حقوق الآخرين والتفرقة بين الحكام والمحكومين . ومنذ هزيمة هابيل ساد معسكر قابيل وهياكله التاريخ الإنسانى ^(٧) . وبعكس التفسير الماركسى ، فقد رأى شريعتى أن السلطة السياسية هى التى أتت بالملكية الخاصة ، وإن كان أقرب بأن الأخيرة هى التى منحت الديمومة والشرعية للسلطة السياسية .

وقد أفرز هذا الصراع طبقتين : المستكبرون والمستضعفون - طبقا لرؤية شريعتى - أى الحكام والمحكومين . وقد استخدم كلا المعسكرين الدين : استخدمه معسكر قابيل كأداة للخداع ولتبرير الوضع القائم ، ولنلاستيلاء على السلطة السياسية والمنافع الاقتصادية والاجتماعية . أما معسكر هابيل فقد اعتبر الدين أداة للتوعية والعدل . . . ولتبرير الثورة ^(٨) . ورغم أن الفارق بين المعسكرين هو فى الأساس اقتصادى / اجتماعى طبقا لتفسير شريعتى - وهو مماثل للتفسير الماركسى - فإنه بينما تحدث كارل ماركس عن خمس مراحل فى التاريخ الإنسانى ، فقد اكتفى شريعتى بالحديث عن معسكرين يضم الأول مراحل العبودية والإقطاع والرأسمالية ، بينما يضم الثانى الشيوعية البدائية والنهائية . وبالتالي فإن معيار التمييز عند شريعتى كان نمط الملكية ، وليس شكل

العلاقات الاجتماعية أو أدوات الإنتاج كما كان الحال عند ماركس .

وحسب شريعتي ، فقد احتكر معسكر قاييل كل شيء — مادي أو غير مادي — في هذه الحياة . وقد عبر القرآن عن ممثلي هذا المعسكر في قصة النبي موسى عليه السلام من خلال الثلاثي : فرعون رمز السلطة السياسية ، وقارون رمز الثروة الاقتصادية ، وهامان رمز المؤسسة الدينية الرسمية ^(٩) .

وإذا أردنا أن نغوص في أعماق مفهوم الدكتور على شريعتي للتاريخ باعتباره صراعا طبقيًا مستمرًا ، فعلينا أن نشير إلى رؤيته النقدية للحضارات الإنسانية . فقد رأى شريعتي أن جماهير المستضعفين هي التي أقامت صروح هذه الحضارات — مثل أهرامات الجيزة في مصر — إلا أن أحدا لم يذكر لهم هذا الدور ونسبت هذه الحضارات للطبقات الحاكمة التي مارست القمع ضد هذه الشعوب . وفي كل هذه الحضارات حارب المستضعفون بعضهم البعض عبر حدود وطنية دون وجود أسباب للعداء فيما بينهم ، وإنما حاربوا لحساب حماية مصالح قاهريهم ومستغليهم في كل قطر ، حتى ولو على حساب مصالح المستضعفين أنفسهم ^(١٠) . ويستنتج شريعتي بالتالي أن حياة وإزدهار هذه الحضارة تحققت فقط على حساب حياة البشر العاديين .

إلا أن الدكتور على شريعتي قد وجد تأثيرا إيجابيا لهذه الحضارات القديمة ، وهو أنها تذكر البشر دائما بأن الاستغلال والقهر والتمايز الطبقي هي ظواهر إنسانية دائمة يجب على البشرية محاربتها .

وقد انتقد شريعتي من أسماهم بـ « أنبياء الأرض » مثل بوذا وكونفوشيوس الذين زعموا أن لهم رسالة وأعطوا المستضعفين أملا في الخلاص ، إلا أنهم سرعان ما تخلوا عن رسالتهم وخانوا ثقة جماهيرهم ، وإما تخلوا عن الحياة الدنيا أو اتجهوا ناحية القصور ، أي انحازوا لجانب الأغنياء . وقد استمر — بل تزايد — الاستغلال ، لأنه كان على المستضعفين مع أولئك « الأنبياء » أن يحملوا مزيدا من الحجارة لبناء المعابد بجانب القصور ، وأن يحاربوا حروبا دينية بجانب الحروب السياسية ، ولم ينجوا من أي منها فوائد تذكر . وقد أصبح الكهان جزءا من الطبقة التي تمارس القمع والاستغلال ^(١١) .

ويرى شريعتي أنه عندما اقترب الفقراء من نقطة الاقتناع بأن « الإله » يحقرهم ، أرسل الله رسول الإسلام — ﷺ — ليعلن أن الله يعد عباده المحرومين المهضومين على الأرض الخلاص والرحمة والبركات ، ويعدهم بأنهم سيكونون ورثة الأرض . وعندئذ اتبع العبيد

أشخاص آخرين وتحولهم إلى أدوات للنظريات « العلمية » الحديثة . فتحت شعار « الحرية » حرّضت الحضارة الغربية البشر على التخلص من أى مسئولية إنسانية أو اجتماعية أو أى قناعات عقائدية . وقد رأى شريعتى فى الحضارة الغربية الحديثة استمرارا لنفس أمراض الحضارات القديمة ، خاصة تجزئة المستضعفين والحروب فيما بينهم لصالح رخاء النخب الحاكمة ، رغم أن ولاءاتهم الأيديولوجية قد تكون فى حقيقة الأمر متماثلة . وفى ظل الحضارة الغربية الحديثة ، لاتعرض الجماهير فقط للاستغلال ، إنما المثقفون أيضا . فقد تحول المثقفون إلى خدام للأنظمة القمعية ، وللاثرياء ، وللألات ، ويقدمون هذه الخدمات على حساب حياة الجماهير التى كان من المفترض أن يدافع المثقفون عنها^(١٦) .

ثالثا - رؤية الدكتور شريعتى للعلاقة بين النظرية والتغيير الاجتماعى

اعتبر شريعتى أن التغيير العقائدى هو شرط مسبق لتحقيق التغيير الاجتماعى . فالتغيير يجب أن يتبلور أولا فى ضمير البشر وإلا فإنه لن يتخذ أبدا شكل حركة اجتماعية . وقد رأى شريعتى فى التشيع العلوى دروسا بضرورة الإعداد العنوى والعقائدى والروحى للتغيير ، كما وجد فيه تأكيدا على أهمية « الإيمان » بحتمية انتصار العدالة وانتهاء القهر على أيدي حركة الجماهير التى تسرع من حركة التاريخ . وبالمقابل ، عبر الدكتور شريعتى عن وجهة نظره بأن الثورية والتقدمية على المستوى الفكرى تبقيان بلا قيمة إذا لم ينعكسا على مستوى المسئولية والالتزام الاجتماعيين للمثقف وعلى مستوى حركته السياسية^(١٧) . وبالتالي عبر شريعتى عن اقتناعه بجدلية التفاعل والعلاقة بين البنية الفوقية والبنية التحتية : بين النظرية والمجتمع .

وبالنسبة لشريعتى ، كان الإسلام هو أيديولوجية التغيير : الإسلام كروية شاملة للعالم وللواقع ، وكمناهج لإخراج ما بداخل الإنسان من إبداع ونزوع نحو الكمال - على المستويين الفردى والجماعى . فالإسلام يدفع بالإنسان الذى خلقه الله من الطين والروح بعيدا عن الطين وصعبودا نحو الروح : أى نحو الكمال ، فى إطار عملية متواصلة لتحرير الذات والمجتمع . فقد آمن شريعتى بأن الكمال الفردى لن يتحقق بمعزل عن الكمال الجماعى^(١٨) .

وفىما يتعلق بشعوب العالم الثالث بصفة عامة ، فقد اعتبر د . شريعتى أن المهمة الأولى أمامهم هى إحياء هويتهم الثقافية المتميزة التى يشكل الدين ركيزتها الأساسية . وفىما يتصل بالمسلمين بشكل خاص - بمن فى ذلك الشعب الإيرانى - فإن

العقيدة الحقيقية التي يجب أن يتبعها الأفراد هي الإسلام « التوحيدى » . وقد استخدم الدكتور شريعتى « التوحيد » هنا ليس بشكله التقليدى أى الإيمان بالله الواحد ، بل أيضا امتد هذا المفهوم لدى شريعتى ليعنى أن الله الواحد خلق على الأرض ما يعبر عن وحدانيته : أى الإنسانية الواحدة دون أى تمايزات أو تناقضات - سواء قانونية أو طبقية أو عرقية أو اجتماعية^(١٩) . ورأى شريعتى أن أى مجتمع يتبع العقيدة التوحيدية سيسير على نفس النهج الذى سارت عليه الأمة الإسلامية فى عهد الرسول - ﷺ - ، وهو الحركة المستمرة نحو العدالة والنضال المشترك من أجل الأخوة الإنسانية والاقتصادية ونحو الملكية العامة لوسائل الانتاج والمجتمع اللاتبقى^(٢٠) . وقد قدم الدكتور شريعتى سببين لدعم وجهة نظره بأن الإسلام يجب أن يكون ايدىولوجية الثورة : الأول أن المجتمع الإيراني مجتمع متدين يشارك جميع أبنائه فى المعتقدات والوعى الدينى ، وثانيا أن الإسلام هو الذى ألهم الرسول - ﷺ - الثورة ضد الارستقراطية وملاك العبيد وتجار قریش الأثرياء^(٢١) .

فالایدیولوجية الإسلامية - فى رأى شريعتى - هى القادرة على بناء مجتمع مثالى وبالتالى إنسان مثالى . وسيعكس هذا المجتمع وحده الفكر والحركة بشكل متكامل وليس متناقضا ، ويجمع بين الروحى والمادى بشكل منسجم كما يوحد بين الإنسان ومجتمعه والكون بأسره فى اتجاه الكمال . وقد أمل الدكتور على شريعتى فى أن يصبح علم الاجتماع الإسلامى الذى عمل على تطويره أداة لتحليل الايدىولوجية الإسلامية ولفهم المجتمعات الإسلامية المعاصرة - خاصة المجتمع الإيراني - وتقرير ما تحتاجه من إصلاح وتغيير على أساس العقائد والمبادئ الإسلامية^(٢٢) .

وقد تطلب تصور شريعتى للایدیولوجية الإسلامية مجهودا كبيرا منه فى إعادة تعريف المفاهيم الشيعية الأساسية حتى تعكس رسالة الإسلام الثورية كما طرحها شريعتى . ويجب أن نذكر هنا بفرقة شريعتى بين التشيع العلوى والتشيع الصفوى المشوش .

ففىما يتصل بمفهوم « الإمامة » ، رفض الدكتور على شريعتى التفسير الصفوى لهذا المفهوم باعتبار الإمام إلها صغيرا أو كائنا خارقا للعادة ، أو وسيطا بين البشر والإله ، ورفض تأجيل مناقشة كافة المسائل العامة حتى عودة الإمام . وبالمقابل ، دعا شريعتى إلى تنشيط الدور السياسى للجماهير، وذلك استعدادا لعودة الإمام الثانى عشر (الغائب) حتى يشعر بالسعادة حين عودته من الغيبة عندما يرى أتباعه يقلدون مثال الإمام على ويحاربون من أجل العدالة . ورأى شريعتى أنه فى ظل غياب الإمام على

الجهامير واجب وحق تقرير أوضاعهم الروحية والاجتماعية تحت قيادة مستنيرة ومؤمنة ونقية (٢٣).

وقد هاجم شريعتي أيضا التفسير الصفوي لمفهوم « التقليد » بما يعنى الطاعة العمياء والامتيازات الخاصة لطبقة علماء الدين والإقرار باحتكارهم تفسير المذاهب الشيعية . وهنا يقف شريعتي بوضوح ضد الوضع المؤسسى لرجال الدين وأى امتيازات يحصلون عليها . كما يفسر شريعتي مفهوم « العدل » باعتبار أن الإيمان بالله « العادل » يستوجب نضال المجتمعات الإنسانية ضد الحكومات أو الأوضاع الظالمة . وقد رفض التفسير الصفوي لـ « العدل » باعتبار تنفيذه مؤجلا إلى الدار الآخرة تاركا هذه الحياة للحكام - مهما كانت درجة فسادهم - وباقيا في حالة « انتظار » (وهو مفهوم شيعي آخر يعنى انتظار عودة الإمام الغائب) .

كذلك اعتبر الدكتور شريعتي احتفالات شهر المحرم الشيعية الخاصة بإحياء ذكرى استشهاد الإمام الحسين تحمل رسالة واحدة : واجب كافة الشيعة بالنضال ضد الإمبريالية ، والصهيونية ، والمؤسسات عبر الوطنية ، والعنصرية والقهر الطبقي والاستغلال . فحسب شريعتي احتفالات المحرم ليست صرخة من أجل الحسين الضحية الفقيرة ، ولكن من أجل الحسين الذى حارب واستشهد من أجل العدالة ، ومثل حق الإنسان غير القابل للتصرف فى المقاومة ، وأعطى المسلمين درسا فى مقاومة الخداع والتغريب والعلماء المزيفين والنماذج الدخيلة (٢٤) .

ونلاحظ أن إعادة تفسير الدكتور شريعتي لبعض المفاهيم الشيعية الأساسية جاء مختلفا إلى حد كبير عن تفسيرات الاتجاه العام للمؤسسة الدينية الشيعية . وفى كل مآطرحه شريعتي من تفسيرات ، أكد على أهمية المسئولية الاجتماعية والتغيير الثورى فى إطار إعادة تفسير المفاهيم - بل والمنطق - الإسلامى ذاته .

رابعاً - تصور شريعتي للمجتمع التوحيدى

المجتمع « التوحيدى » هو نموذج المجتمع المثالى فى رأى شريعتي . وهو يتصف بتعميق الجذور المعنوية والأخلاقية فى عقول أفراد كضمانة وحيدة ضد الاستبداد والانتهازية ، وكوسيلة لتحرير الإنسان من قيود الرغبات المادية والمصالح الخاصة . ولا تقتصر المساواة فى المجتمع « التوحيدى » على الناحية المادية ، بل امتدت لتصبح تعبيراً عن أخوة إنسانية . وسينشأ فى هذا المجتمع أيضا نظام عادل للإنتاج والتوزيع ،

وسيصبح العمل هو الوسيلة الوحيدة لاكتساب الرزق في الدنيا ولتحقيق السعادة في الدار الآخرة حيث اعتبر الله العمل الشريف عبادة في حد ذاته . وفي المجتمع التوحيدى سيختفى الجشع وتسود الحرية الروحية ، وبالتالي عبادة الله . كما سيتم احترام حقوق الإنسان وحرية الفكر باعتبار الكرامة الإنسانية ترقى على السياسة . كما سيختفى وجود المعتقلين السياسيين والبيروقراطيات المتجمدة وحكم الحزب الواحد أو الطبقة الواحدة . وركز شريعتى هجومه على المجتمعات التى تسودها دكتاتورية الحزب الواحد التى غالبا ماتنتهى بديكتاتورية الشخص الواحد الذى يملك كل سبل الحياة للبشر ويحط من كرامتهم وحقوقهم . وذهب شريعتى إلى حد القول بأنه فى المجتمع التوحيدى سيسمح لمن يعارضون الله والأديان أو يشككون فى صحة المعتقدات الدينية للحكام بالحياة وبالتعبير عن آرائهم^(٢٥) .

ورغم أن تصور الدكتور على شريعتى للمجتمع التوحيدى يتصف بالمثالية ، فإنه لا يذكر لنا بالتفصيل كيف سيتخلص المجتمع « التوحيدى » من سيطرة البيروقراطية ، أو الحزب ، أو الطبقة أو الفرد . كما لا يقدم أى ضمانات قانونية مؤسسية بشأن تحول المجتمع إلى المرحلة اللاتبقية .

خامسا - النخبة وال جماهير والقيادة فى تصور شريعتى

رأى شريعتى أن طليعة المثقفين (رشانفكران) هى الجديرة بقيادة التغيير الثورى . وقد فضل شريعتى فى هذا السياق المثقفين التقدميين الإسلاميين على العلماء التقليديين والمثقفين الماركسيين والعامة من المسلمين . ففى رأى شريعتى ، فإن المثقفين الإسلاميين التقدميين هم وحدهم القادرون على تحليل الواقع الإسلامى مستخدمين لغة تكون فى وقت واحد مفهومة للجماهير وكافية لتقديم تفسير شامل لهذا الواقع مع استخدام أدوات تحليل غربية^(٢٦) . إلا أن الدكتور على شريعتى لم يستبعد تضمين العلماء التقدميين المستنيرين ضمن « الطليعة » التى اقترحها . وقد جاء مفهوم شريعتى حول الطليعة قريبا من مفاهيم مماثلة طورها من قبل لينين فى إطار الحركة الشيوعية وسيد قطب فى إطار الحركة الإسلامية . إلا أن مفهوم شريعتى يقترب أكثر من مفهوم لينين فى ضوء حديثه عن « الدور التقدّمى والثورى » لهذه الطليعة . إلا أن شريعتى لم يحدد تفصيلا الشكل التنظيمى الذى ستأخذه الطليعة - وخاصة فى ظل رفضه الذى سبق ذكره لحكم الحزب الواحد .

وقد طالب شريعتى هذه الطليعة بأداء وظيفة مزدوجة : أولا إعادة اكتشاف الايديولوجية والمنهج واللغة السياسية للإسلام والتطبع بها . وفى إطار هذه العملية على المثقفين الإسلاميين التقدميين التخلي عن ولاءاتهم الطبقية ، سواء كانت للطبقة العليا أو الوسطى ، والنضال ضد التمايز الطبقي والانضمام إلى صفوف المستضعفين . فقد اعتبر شريعتى أن شخصا ثوريا وذا وعى اجتماعى هو وحده القادر على الحفاظ على ولاءه للتغيير الاجتماعى . وطالب شريعتى هؤلاء المثقفين أيضا بالتحرك من التقاليد والعادات التى تعيق التحول الإسلامى الاجتماعى . وآمن بضرورة انغماس هؤلاء المثقفين بشكل مافى النضال وإلا تحولت كتاباتهم إلى أفكار أكاديمية بلا قيمة للآخرين بدلا من التفاعل مع واقع النضال (٢٧) .

أما الوظيفة الثانية لهذه الطليعة فهى قيادة الجماهير فى الثورة المزدوجة التى عليهم المرور بها لتحقيق التحرير الشامل : الثورة الوطنية لإنهاء كافة أشكال السيطرة الأجنبية وإحياء الإرث الثقافى والهوية الوطنية للأمة : أى الإسلام . والثورة الثانية هى الاجتماعية لإنهاء كافة أشكال الاستغلال من خلال القضاء على الرأسمالية وإنشاء المجتمع « التوحيدى » (٢٨) .

وقد حصر شريعتى مهمة قيادة الثورة الاجتماعية فى (الروشا نفكران) بسبب ما اعتقده من قدرتهم على إدراك التناقضات الداخلية للمجتمع من جهة ، خاصة التناقضات الطبقية ، ورفع درجة الوعى لدى الجماهير فى الاتجاه الصحيح من جهة أخرى . بل إنه ذهب إلى حد اعتبار هؤلاء المثقفين وحدهم القادرين على تقديم التفسير الصحيح للإسلام ، نظرا لأن شريعتى رأى أن الأفعال وليست التقوى السلبية هى علامة الإيمان الصحيح ، وإن الثوريين هم مسلمون أفضل من أولئك المتفقهين فى شئون دينهم ، ولكنهم يتبنون مواقف محافظة فى المجالين السياسى والاجتماعى . بل إن تعريف شريعتى للمسلم لم يقصره على الإيمان الذاتى بالله ، ولكن بقدرته على المشاركة فى النضال من أجل الحق (٢٩) .

وعقب أداء طليعة المثقفين لهذه المهمة المزدوجة ، دعاها الدكتور على شريعتى إلى أن تشكل - عقب انتصار الثورة - جماعة منظمة تتمتع بديمقراطية داخلية وبرنامج ثورى وتقدمى لمواصلة التغيير الاجتماعى وصولا إلى إنشاء المجتمع التوحيدى . إلا أن شريعتى عبر عن دعوته إلى أن يتم انتخاب هذه الجماعة بواسطة الشعب . وأعطى هذه الجماعة واجب استنباط حلول إسلامية لمشاكل البشر واختيار الأكثر استنارة من بين

صفوفها ليكون القائد ، وأعطاهما حق قمع كافة معارضى النهج الإسلامى ومن يحاولون إفساد المجتمع أو سوء استخدام السلطة أو الثروة^(٣٠) .

ورغم محاولة شريعتى هذه لبلورة شكل وهيكل الجماعة التى ستكونها طليعة المثقفين ودعوته لحتمية قيادة تلك الطليعة للتغيير ، فإن مفهوم الطليعة هذا - وكما أثبتت التجارب الإنسانية السابقة - يحمل فى طياته خطر التحول إلى نظام حزب واحد مستبد - وهو أمر نهى عنه شريعتى . ورغم محاولة طرح ضمانات تحول دون انتقال الطليعة إلى مرحلة الاستبداد من خلال الدعوة إلى انتخاب تلك الطليعة ، فإن التساؤل الذى يطرح نفسه هو : هل تمنح الطليعة لـ « عامة المسلمين » حق الحكم عليها وتقرير أمرها؟ ومرة أخرى ، تميل التجارب الإنسانية السابقة بصفة عامة إلى إعطاء إجابة سلبية على هذا التساؤل ، وتصبح ضمانات الدكتور شريعتى أكثر عرضة للانتقاد فى ضوء الحق الذى منحه للطليعة لقمع أى معارضة لها - بما قد يمتد ليسرى على قمع أى نوع من الرقابة الشعبية .

وبعد توضيح الأولوية التى أعطاهما شريعتى لدور الطليعة فى عمليتى التغيير والتحول ، فإنه من العدل عرض الوجه الآخر للعملية أى تصور شريعتى لدور الجماهير، فقد دعا شريعتى طليعة المثقفين إلى التفاعل مع الجماهير والعمل على رفع وعيها بدلا من الانعزال عنها . وربما يكون شريعتى قد حاول من وراء ذلك الحث على تجنب تحول الطليعة إلى إطار بيروقراطى - مرة أخرى كما حدث فى تجارب سابقة . وقد فسر شريعتى الإشارة المتكررة فى القرآن الكريم إلى تعبير « الناس » باعتبار أن الله جعل الناس - أى الشعب - مسئولين عن مستقبلهم ، وبالتالي أقربهم كعامل أساسى فى تحقيق التغيير الاجتماعى . وقد اتفق الدكتور شريعتى مع التقليديين فى القول بأن هناك قوانين إلهية ثابتة لا تتبدل فى هذا العالم ، وهى ما تسمى بـ « سنة الله » . وطالب الشعوب بأن تكتسب وعيا بهذه السنن من جهة وبواقعها الاجتماعى من جهة أخرى حتى توظف هذه « السنن » لصالح تقدمها من خلال النضال المستمر^(٣١) .

بالإضافة إلى ذلك ، فإن شريعتى رأى أن الله خاطب البشر فى القرآن بوصف « الناس » أى بوصفهم كيانًا واحدًا - بدون تمييز - ولذلك على هؤلاء الناس النضال من أجل تحقيق هذه الدعوة وإنشاء مجتمع توحيدى لا طبقى^(٣٢) . كذلك فسر شريعتى الآيات القرآنية التى تتصل بالمسائل الاجتماعية باعتبارها تستخدم كلمتى « الله » و« الناس » بشكل تبادلى : فإذا كان الحكم ملكا لله ، فهو ملك للناس كلهم وليس

لِلحُكَّامِ الْمُسْتَكْبِرِينَ ، وَإِذَا كَانَتِ الثَّرْوَةُ مَلَكًا لِلَّهِ ، فَهِيَ أَيْضًا مَلِكٌ لِلنَّاسِ بِأَسْرِهِمْ وَلَيْسَ لِلرَّأْسَالِيينِ الْمُسْتَغْلِينَ ، بَلْ إِنْ شَرِيعَتِي يَذْهَبُ إِلَى حَدِّ الْقَوْلِ بِأَنَّهُ إِذَا كَانَ الدِّينُ نَفْسَهُ جَاءَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، فَهُوَ مَلِكٌ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَلَيْسَ لِلْمَوْسُئَةِ الدِّينِيَّةِ الرَّسْمِيَّةِ الْمَحَافِظَةُ (٣٣) .

وحتى تكتمل الصورة بالنسبة لتصوّر شريعتي لأدوار مختلف اللاعبين في إطار عملية التحول السياسي والاجتماعي ، سنعرض هنا للجانب الثالث - بعد الطليعة والجماهير - ألا وهو القيادة . فقد آمن الدكتور على شريعتي أنه في المجتمعات المتخلفة يلعب الأفراد - خاصة القادة - دورًا حاسمًا في تحقيق التغيير (٣٤) . إلا أن دور القيادة عند شريعتي يبقى محكومًا بأرائه بشأن الطليعة . وقد أعطى مثليين إسلاميين للقيادة من منظور تاريخي ، وهما الصحابي الجليل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه ، والإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . وهنا - مرة أخرى - يختلف شريعتي عن التيار العام التقليدي للفكر الشيعي الذي يحرص أمثلة القيادة النموذجية في شخصيات أئمة الشيعة ، ويتحدث شريعتي عن شخصية سنية هي أبي ذر .

فقد رأى شريعتي في أبي ذر مناضلاً ضد تزيف النموذج الإسلامي المثالي بالشكل الذي حدث في عصر الأسرة الأموية ، واعتبره رمزاً للصراع المستمر بين العدل والظلم ، ورأى فيه تجسيداً للإنسان المسلم الكامل (٣٥) . وبالنسبة للإمام علي ، فقد أمضى حياته مناضلاً ضد المستغلين وضد التمييز بين البشر ، ومع المحرومين والفقراء ودفاعاً عن الثروة العامة ، ورفع راية المساواة بين البشر في ملكيتهم لوسائل الإنتاج وفي تناسب معدلات استهلاكهم ودخولهم مع ما يقومون به من عمل . ويرى شريعتي أن الإمام علياً حاول من خلال هذه المواقف توفير الضمانات لبناء مجتمع توحدي . وبنوّه الدكتور شريعتي بشكل خاص برفض الإمام علي لتبرير حرمان الطبقات الدنيا على أي أسس دينية ، وباستخدامه الدين كأداة للخلاص هذه الطبقات ، وبكونه لم يحمل السيف دفاعاً عن نفسه وعائلته وجماعته العرقية ، بل لتحرير الإنسانية بأكملها على المستويين الروحي والمادي . فقد تحدث الإمام علي عن « الله » المؤيد للمؤمنين الفقراء وليس للسلادة المستكبرين . كما يتحدث الدكتور على شريعتي عن الإمام علي باعتباره رجلاً عادلاً وأن ورثته هم حملة الراية الحمراء : راية المستضعفين . ويذكر الدكتور شريعتي مستمعيه وقراءه بأن أصحاب القصور (في إشارة إلى الحكام) والمعابد (في إشارة إلى المؤسسة الدينية الرسمية) وكانزى الثروات هم الذين خانوا الإمام علياً ، بينما

بقيت الطبقات المحرومة على ولائها له . وتميز الإمام على بالجمع بين وضوح وشمولية الرؤية العقائدية والعمل الثوري ، كما عمل بيده لاكتساب رزقه وحمل القرآن باليد الأخرى ^(٣٦) . وقد رأى الدكتور شريعتي في كل هذه الخصائص للإمام على شيئا واحدا : إن الإمام عليا كان مؤمنا حقيقيا وأعرب عن الأمل في أن يتخذ قادة التحولات الجذرية والمجتمع التوحيدى من الإمام على مثالا أعلى للاقتداء به . وهنا تبرز مرة أخرى غلبة الخصوصية الشيعية على الأطر المرجعية في فكر شريعتي السياسى .

ولاشك أن الدكتور على شريعتي قد قدم تصورا متعمقا وشاملا لدور الطليعة والجماهير والقيادة في إطار عملية التحول السياسى والاجتماعى ، إلا أن الروابط فيما بين تلك الأطراف الثلاثة كانت الحلقة الأضعف في طرح شريعتي ، كما أنها اتسمت بقدر كبير من المثالية يناقض دروس التجارب التاريخية السابقة ، بل والطبيعة الإنسانية ذاتها . ولم يقدم شريعتي ضمانات كافية لتحقيق التوازن بين تلك الأطراف الثلاثة .

سادسا - شريعتي والمؤسسة الدينية الرسمية

من اللافت للنظر أن شريعتي مال إلى استبعاد رجال الدين من الطليعة التى طرحها ، وفضل عليهم مثقفين إسلاميين من غير صفوف رجال الدين ، ولاشك أن قطاعات من المؤسسة الدينية كانت تحمل آراء سلبية تجاه شريعتي وفكره ، فقد انتقدوا فيه الانتقال في شروحه من العلوم الاجتماعية الغربية إلى الإسلام بدلا من العكس . ورغم أن مجمل محتوى كتابات شريعتي هو موضوع دينى ، فإنه لاشك أن أسلوب شريعتي وطريقة صياغته لأفكاره كانا غير تقليديين - ربما بسبب تعليمه الغربى ولقاءاته الفكرية مع مدارس غربية - وماركسية بشكل خاص . وكان شريعتي يتحدث في محاضراته عن شخصيات مثل كارل ماركس وفرانز فانون وأسماء أخرى غير معتادة لعامة الإيرانيين مما كان يثير عليه حنق التقليديين - بل وأحيانا غضبتهم الثائرة . كما أن اهتمام شريعتي بإعادة اكتشاف - أو إعادة تفسير - بعض التقاليد - وهو أمر لم يرغب ولم يقدر العلماء التقليديون على القيام به - قد نجح في جذب جيل كامل من الشباب الإيراني المسلم المتعلم تعليما غربيا إلى الإسلام . ونذكر هنا بشكل خاص التوتر بين شريعتي وبين آية الله مطهرى - أحد أبرز المنظرين للجمهورية الإسلامية فيما بعد - ويرجع هذا التوتر إلى أسباب ذاتية وأخرى موضوعية . أما السبب الذاتى فهو أن مطهرى كان أكثر المحاضرين شعبية في « حسينية إرشاد » ، إلا أن الأمر لم يستمر على

هذا الحال بعد ظهور شريعتى هناك . وأما السبب الموضوعى فهو أن مطهرى كان يشكك في «إسلامية» شريعتى وكان يتهمة باستخدام الدين كأداة لتحقيق أهداف سياسية واجتماعية لاتتصل به . ومن جهة أخرى ، انتقد شريعتى بشكل خاص - وفي مناسبات عديدة - الملا محمد باقر مجلسى - وهو أحد كبار علماء الحقبة الصفوية في تاريخ إيران - باعتباره ممثلاً للشيعة الصفوى . وجاءت هذه الانتقادات في وقت كان ينظر فيه مطهرى وعلماء كبار آخرون في إيران وقت شريعتى إلى مجلسى بقدر كبير من الاحترام باعتباره من قام بجهود تجميع «بحار الأنوار» والتي جمعت التقاليد الشيعية^(٣٧).

أما فيما يتعلق بآية الله الخمينى ، فنذكر أنه قال عقب وفاة الدكتور على شريعتى عام ١٩٧٧ وقبل انتصار الثورة في فبراير عام ١٩٧٩ إن « تعاليم الدكتور شريعتى قد أثارت جدلاً في صفوف رجال الدين ، إلا أنها قادت الشباب وصغار المثقفين إلى الإسلام » . ودعا إلى إعادة تقييم المسائل التي أثارها الدكتور شريعتى^(٣٨) . وهذا يوضح أن الخمينى كان واعياً بأن فكر شريعتى مثل تياراً إسلامياً مختلفاً نوعياً عن فكر العلماء ، وهو أمر عمد غالبية رجال الدين إلى إنكاره قبيل وأثناء ومباشرة عقب انتصار الثورة في محاولة منهم لكسب أنصار شريعتى إلى صفوفهم بعد وفاته .

ونرى أن شريعتى أعاد صياغة الايديولوجية الإسلامية بشكل قادر على جذب المثقفين إلى الإسلام ، ولكن في اتجاه يبعد بهم عن قيادة رجال الدين . ولذلك كان من الطبيعى أن يكون رد فعل بعض رجال الدين هو توجيه الاتهامات إليه بأنه سنى ، أو شيعى ، أو وهابى . إلا أن هذه الاتهامات لم تكن شريعتى عن التفرقة بين من هو «عالم» ومن هو «معمم» وهو شخص يرتدى ثياب رجال الدين دون توفر المعرفة الدينية والالتزام الاجتماعى لديه^(٣٩) . ونعتقد أن شريعتى رأى في «حسينية إرشاد» بديلاً عن التعاليم التقليدية لرجال الدين ووسيلة لكسر احتكارهم للفكر الإسلامى . وقد هاجم الدكتور شريعتى باستمرار جمود رجال الدين المحافظين ومعارضتهم لبعض الأفكار «الجيدة» الموجودة لدى الغرب مما أدى - في رأى شريعتى - إلى دفع أعداد كبيرة من الشباب الإيراني إلى أحضان الثقافة الغربية^(٤٠) . ويجب ألا يجعلنا هذا التوتر بين شريعتى وبعض قطاعات رجال الدين أن نجنح للاعتقاد بأنه لم يكن له أى تأثير على رجال الدين بصفة عامة . فقد كان لفكره تأثير واضح على صغار رجال الدين ، وهو أمر دلت عليه خطبة الجمعة في العديد من مساجد إيران خلال وعقب الثورة وما حملته من أفكار وآراء - بل وتعبيرات - للدكتور شريعتى^(٤١) .

سابعاً - التأثير الغربي على فكر الدكتور شريعتى

لقد كان الدكتور على شريعتى على معرفة متعمقة بالتاريخ والفلسفة الغربيين مع وعيه الذاتى بدينه وتقاليده . وبالتالي كان الأقدر على إدماج الفكر الراديكالى فى الغرب والعالم الثالث مع المبادئ والتقاليد الشيعية . إلا أنه انتقد الأفكار الأجنبية بنفس القدر الذى انتقد به الفكر الإسلامى التقليدى ، فقد انتقد الفكر العالم ثالثى لفرانز فانون ، خاصة دعوته لشعوب العالم الثالث بالتخلي عن تقاليدها الدينية حتى تتمكن من الانتصار فى نضالها ضد الإمبريالية الغربية ^(٤٢) . ورغم أن الكاتب الإيرانى ارفاند ابراهيميان قد ذكر أن شريعتى كرس حياته لمهمة إدماج الاشتراكية مع المبادئ الثورية الموجودة فى التشيع التقليدى ^(٤٣) ، فإن الواقع يؤكد أن هدف شريعتى كان جعل الأصالة وسيلة للشورى والتحرير . ولهذا الغرض استخدم شريعتى كافة المفاهيم والأساليب وأدوات التحليل التى وجدها مفيدة له فى تلك المهمة ، مهما تعددت مصادرها .

ولاشك أن الدكتور شريعتى قد شارك ماركس الاهتمام بالجدلية التاريخية - دون الجدلية المادية - وكذلك بالعلاقة الجدلية بين البنية التحتية والبنية الفوقية ، وأيضاً مفهومه للتاريخ باعتباره تاريخاً للصراع الطبقي . كذلك من المؤكد أن مفهوم شريعتى لـ «الطليعة» كان متأثراً بمفهوم لينين حول الطليعة الثورية .

ولكن شريعتى اختلف مع الفكر الماركسى بشأن دور الفرد - وخاصة القيادة - فى صنع التاريخ وفى عملية التغيير . وقد رفض الأسس الفلسفية والمعرفية لفكر ماركس ، كذلك رفض ما توصل إليه ماركس من استنتاجات سياسية واعتبرها تنبؤات غير علمية . ولم يتوان شريعتى عن انتقاد الأحزاب الشيوعية الحاكمة فى شرق أوروبا لأنها تحولت إلى مؤسسات بيروقراطية وفقدت بريقها الثورى ، وفشلت فى أن تدرك أن التناقض الرئيسى فى عالم اليوم هو بين الإمبريالية الغربية والعالم الثالث ، وليس بين الرأسماليين والطبقة العاملة كما كان الحال فى الماضى . وفى هذا المقام ، اقترب شريعتى من فكر «مدرسة التبعية» . كذلك انتقد شريعتى تلك الأحزاب الشيوعية الحاكمة لعدم تفهمها لأهمية «الوطنية» فى العالم الثالث بوصفها أداة فى النضال ضد الإمبريالية ^(٤٤) . وبصفة عامة ، انتقد شريعتى الاشتراكيين واتهمهم بتحويل الاشتراكية إلى دين مادى متصف بالحتمية الاقتصادية ^(٤٥) .

ونذكر هنا أن شريعتي دعا إلى دراسة الغرب وتاريخه وتطوره الحضارى والاجتماعى ،
والحركات الفكرية فيه - خاصة منذ عصر النهضة مع التركيز على البروتستانتية ودورها
في أوروبا في العصور الوسطى - والقادة السياسيين والاجتماعيين للغرب ومقارنة كل
ذلك بالإسلام^(٤٦) . وقد وعى شريعتي عدااء الغرب للإسلام ، إلا أنه انفتح عليه ليتعلم
من تحليل العوامل السابقة ما يفيد في نضال المسلمين من أجل التحرر . وكان توجهه
هذا بديلا لخوف رجال الدين وغلقهم الأبواب أمام الأفكار والمجتمعات الغربية مما أدى
- في رأى شريعتي - إلى سوء فهم عن الغرب . وأدمج شريعتي في منطقته معطيات من
الفلسفة وعلم الاجتماع والفكر في الغرب . وأيقن شريعتي أن المسلمين لا يمتكرون كل
الأمر الإيجابية ، وإلا لكانت أحوالهم مختلفة عما هي عليه الآن . ولم يكن كافيا
بالنسبة لشريعتي أن يقول المسلمون إن لديهم القرآن والسنة ، بل كان من الضروري
فهم جوهرها ودراسة ما هو موجود لدى غير المسلمين في بقية أنحاء العالم لمعرفة ما قد
يفيد المسلمين ويتفق مع مبادئ الإسلام .

المواش

Hamid Algar , A Biblio - graphical Sketch, in **On the Sociology of Islam**, by Ali (١)
Shariati (Berkeley, CA: Mizan Press, 1979) , P.16 .

, **Roots of Islamic Revolution** (London : Open Press, 1983), p. 74. (٢)

Ibid, p. 75 (٣)

Ervand Abrahamian, " Ali Shariati : The Ideologue of the Iranian Revolution" : انظر أيضا
tion" , in **MERIP Reports**, no. 102, January 1982, p.24.

Abrahamian, op. cit., p.25 (٤)

Roots of Islamic Revolution, op.cit., p. 75 : انظر أيضا :

(٥) منصور فريهنك ، « مقاومة الفراعنة في كتابات علي شريعتي عن القهر » ، في إيران ١٩٨٠ - ١٩٨٠ ،
تحرير مؤسسة الأبحاث العربية (بيروت : مؤسسة الأبحاث العربية ، ١٩٨٠) ، ص ٢٠٧ انظر

أيضا : **Roots of Islamic Revolution**, op.cit, pp. 76 - 77

(٦) د . علي شريعتي ، « بناء الذات الثورية » في الثورة الإيرانية : الجذور والأيديولوجية ، تحرير د . إبراهيم
الدسوقي شتا (بيروت : دار الوطن العربي ، ١٩٧٩) ، ص ٩٣ .

(٧) محمد السعيد عبد المنعم ، مسألة الثورة الإيرانية (القاهرة : دون ناشر ، ١٩٨١) ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

Nikki R. Keddie , **Roots of Revolution** (New Haven and London Yale : انظر أيضا :
University Press , 1981) , p. 220 .

(٨) انظر أيضا : Abrahamian, , 109 , pp. 97 - 99 , **On the Sociology of Islam** , op.cit.,
op.cit., p.24

(٩) **On the Sociology of Islam**, op. cit., pp. 101, 115

(١٠) د . علي شريعتي ، « تأملات مسلم مهتم بمأساة الشعوب المستضعفة » في إيران ١٩٨٠ - ١٩٨٠ ،
مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٩ .

(١١) المصدر السابق ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

(١٢) المصدر السابق ، ص ٢١١ - ٢١٢ .

(١٣) المصدر السابق ، ص ٢١٢ .

(١٤) Edward Mortimer , **Faith and Power** (London : Faber and Faier, 1982 .

انظر أيضا : Keddie, op.cit., p. 219

(١٥) Keddie, op.cit., pp.217, 220 .

(١٦) د . علي شريعتي ، « تأملات مسلم . . » ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢١٤ - ٢١٥ .

(١٧) Mortimer, op.cit, pp, pp.340, 342 .

(١٨) **Roots of Islamic Revolution**, op.cit.pp.78, 79

- . **On the Sociology of Islam**, op.cit.pp. 116 - 117 (١٩)
- . Abrahamian , op. cit., pp. 27, 29 (٢٠)
- . Ibid , pp. 25 , 26 (٢١)
- . **Roots of Islamic Revolution**, op. cit., pp, 76, 78 - 79 , 89 (٢٢)
- . Mortimer, op.cit., p.338 (٢٣)
- . Eward Abrahamian, " The Guerilla Movement in Iran : 1693 - 1977" In **MERIP** (٢٤)
- Report**, no.86, March/April 1980, p. 10 .
- . Mortimer , op. cit., pp. 96 - 97 , 98, 99, 113 , 114 (٢٥)
- انظر أيضا : منصور فرهنگ ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠٦ .
- . " Ali shariati : The Ideologue of the Iranian Revolution " , op. cit., p. 26.(٢٦)
- (٢٧) د . علي شريعتي ، « بناء الذات الثورية » ، مصدر سبق ذكره ، ص ٨٧-٨٨ ، ٩٠ ، ٩٣ ، ١١٥ .
- انظر أيضا : **Roots of the Islamic Revolution** , op.cit, p. 95
- . " Ali shariati : The Ideologue of the Iranian Revolution " , op. cit., p. 26(٢٨)
- . Ibid , p 28(٢٩)
- . Mortimer , op. cit., pp. 340 - 342 (٣٠)
- On the Sociology of Islam**, op.cit.pp. 48 - 50 , 52 (٣١)
- . Ibid, p. 49(٣٢)
- .Ibid, pp. 116 - 117 (٣٣)
- . Ibid , p. 54(٣٤)
- . **Roots of Islamic Revolution**, op. cit.pp. 74 (٣٥)
- (٣٦) د . علي شريعتي ، « بناء الذات الثورية » مصدر سبق ذكره ، ص ٩٦ ، ٢١٣ - ٢١٤ .
- .**Roots of Islamic Revolution** , op. cit., pp. 87 - 88 , 91 (٣٧)
- . Ibid , p. 88 (٣٨)
- . Ibid , p. 93(٣٩)
- . " Ali Shariati : The Ideologue .. " op. cit. p. 28(٤٠)
- . **Roots of Islamic Revolution**, op.cit., p.24 (٤١)
- . All Shariati : The Ideologue ... " op.cit., p. 24 (٤٢)
- . Ibid, pp. 24 (٤٣)
- . Ibid, pp, 26 - 27(٤٤)
- (٤٥) د . علي شريعتي ، « بناء الذات الثورية » ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٥ .
- (٤٦) المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

الفصل الثاني

أضواء على دور آية الله طالقاني في الثورة الإيرانية

رغم كثرة ما كتب وذكر عن ثورة عام ١٩٧٩ في إيران فإن الكثير من جوانب هذه الثورة مازال بعيداً عن تناول أيدي الباحثين . ومن بين تلك الجوانب شخصيات لعبت أدواراً رئيسية سواء في الإعداد للثورة - على المستويين الفكري والحركي - أو في قيادتها وفي المراحل التي تلت انتصار هذه الثورة . أحد هذه الشخصيات هو آية الله سيد محمود طلقاني (١٩١١ - ١٩٧٩) الذي تحاول هذه الدراسة عرض وتحليل أهم أفكاره وممارساته في محاولة لاستكمال حلقة جديدة من حلقات فهم الثورة الإيرانية ، فكرياً وأحداثاً .

وستنقسم هذه الدراسة إلى عدة أجزاء :

- جزء يعالج موقف طلقاني من قضية الحكم وما يندرج تحت ذلك من مسائل التعددية السياسية ودور الفرد في إحداث التغيير في المجتمع . ويتعرض نفس هذا الجزء لنشاط طلقاني السياسي وموقعه في الحركة الوطنية الإيرانية . ويندرج تحت هذا الجزء أيضاً علاقته بمنظمة مجاهدي الشعب الإيراني وموقفه تجاه الماركسية وتجاه مسألة الأقليات القومية ، ورجال الدين .

- يتناول الجزء الثاني دور طلقاني في إعادة تفسير الفكر والتاريخ الإسلاميين بصفة عامة - والفكر الشيعي بصفة خاصة .

- يعقب ذلك جزء يتناول مفهوم طلقاني للجهاد وموقفه من الاستعمار والصهيونية .

- ثم يأتي الجزء الرابع والذي يتناول معالجة طلقاني للمسائلتين الاقتصادية والاجتماعية .

ويأتي في النهاية تقييم عام لما عرض من أفكار طلقاني ودوره ودرجة تأثير ذلك في مسيرة الثورة الإيرانية .

ومن خلال هذا التقسيم يأمل الكاتب في معالجة الجوانب الأساسية في فكر طلقاني ودوره في الثورة الإيرانية بما يساعد على فهم أفضل لدور هذه الثورة فكرياً وسياسياً ونمط تطورها .

أولاً : طلقاني ومسألة السلطة السياسية :

يرى طلقاني أن الحكومة الشرعية هي الحكومة الإسلامية التي يرأسها الإمام أو الوالي ، وإن مثل هذه الحكومة يجب ألا تمثل طبقة واحدة بل تمثل كل أفراد المجتمع ، ومسئوليتها تكمن في حماية حقوق كل الأفراد على المستويين الفردي والجماعي . ويستنكر طلقاني تبني سياسة القمع من جانب السلطة لما يؤديه ذلك من سيطرة طبقة من الانتهازيين وأصحاب المصالح الشخصية الذين لا يهمهم سوى الحفاظ على سلطتهم ولا يتورعون على لى المبادئ لتلائم مزاجهم . ويرى أن القهر يدمر قدرة البشر على الإبداع ^(١) .

ويعتبر طلقاني مدينة الرسول - ﷺ - المثال حيث لم يكن هناك فاصل بين الحاكم والمحكوم ، وإنما تقسيم للعمل والجميع شركاء في المسؤولية . ^(٢) والحكم في الإسلام هو حكم الله ، وعلى الرسول والأئمة ومن بعدهم المجتهدون وجمهور المسلمين تنفيذ شريعة الله التي تقف في انسجام وتناغم مع الفطرة البشرية وتمثل الصراط المستقيم . ^(٣) ويرى طلقاني أهمية خاصة للفكرة الشيعة التقليدية بعدم تأدية صلاة الجمعة إلا في ظل وجود سلطة عادلة ، وذلك لأن صلاة الجمعة هي رمز لسلطة الدولة ، وإذا أداها المسلمون فهذا يعكس مساندتهم للسلطة الحاكمة لأن إمام الجمعة يمثل الدولة تاريخياً ^(٤) .

ويعتبر طلقاني الأسلوب الأمثل للحكم هو مشاركة الأفراد في إدارة شئون حياتهم من خلال مجالس منتخبة لهذا الغرض على كافة الأصعدة ^(٥) .

وفي إطار موقفه من قضية السلطة يعتبر طلقاني حرية الفكر والتعبير غير قابلة للانتهاك ، وإن الأحزاب والقادة الذين لا يسمحون بانتقاداتهم من قبل الآخرين يعانون من عجز وضعف فكري . ويرى في الاسلام إطاراً رحباً يتسع لكل العقائد والنظم القيمة لكافة الأفراد وليس لجماعة واحدة فقط ^(٦) .

وفيما يختص بدور الفرد في إحداث تغيير في المجتمع ، يرى طلقاني أن أئمة الشيعة هم مثال للذكاء الموجه بإيمان وقيم أخلاقية سامية ، وينصح البشر بالاعتناء بهم للبعد عن أى انحراف لأنهم يمثلون الصراط المستقيم . ^(٧) ويذكر أن بداخل كل فرد حركة نحو مزيد من الكمال ، وهذا يعنى أنه لايجب على الفرد التأقلم مع البيئة المحيطة ، بل تطويرها بصفة مستمرة في اتجاه الكمال . ويشير للإمام الحسين كحاكم دافع عن مصالح المسلمين ، ولم يسع لامتياز أو تمييز فوق العباد . ويؤكد طلقاني أن التحول

الاجتماعى يقتضى التغيير والتغلب على القوى التى تعوق البشر عن حريتهم وحقوقهم فى الإبداع . وهذا بدوره يتطلب أن تقوم به قوة اجتماعية تفوق قوتها قوة أفرادها مجتمعين . (٨)

وعلى مستوى الممارسة السياسية يمكن تتبع نشاط طلقانى وموقعه فى الحركة الوطنية الإيرانية .

فقد كان طلقانى على اتصال وثيق بنواب صفوى زعيم ومؤسس منظمة «فدائيان إسلام» النشطة فى أوائل الخمسينات . وقد لجأ صفوى لبيت طلقانى هرباً من مطاردة السفاك .

كذلك أيد طلقانى د . محمد مصدق فى مسألة تأمين صناعة النفط الإيرانية ، وحاول - دون جدوى - الوساطة بينه وبين آية الله كاشانى قبيل الإطاحة بمصدق فى انقلاب ١٩٥٣ . وأسس طلقانى عام ١٩٥٧ حركة المقاومة الوطنية (نهضة مقاومات مللى) مما أدى لسجنه مدة تربو على العام . (٩)

وبعد الإفراج عنه بعد اعتقال قصير بين عامى ١٩٦٠ - ١٩٦١ لقيادته تظاهرات تندد بسياسات نظام الشاه ، كون مع مهدي بازرجان ويد الله محابى حركة تحرير إيران (نهضة آذاد إيران) ، مما أدى لاعتقاله مرة أخرى والإفراج عنه قبيل الانتفاضة الشعبية فى يونيو عام ١٩٦٣ . ومن الهام الإشارة إلى أن حركة تحرير إيران كانت انشقاقاً إسلامياً عن الجبهة الوطنية (تنظيم د . مصدق) ذات التوجه العلمانى . وقد سعى طلقانى فى إطارها إلى إقامة جسر فكرى وتنظيمى يربط رجال البازار التقليديين ورجال الدين المعادين للنظام الحاكم مع المثقفين الراديكاليين والثوريين المتأثرين بالأفكار الغربية والتكنوقراط ذوى التعليم الغربى . وقد شارك طلقانى فى قيادة انتفاضة عام ١٩٦٣ واعتقل لفترة بعدها . وعقب فشل انتفاضة ١٩٦٣ كتب ووزع طلقانى كتيباً بعنوان «الطاغية يسفك دماءنا» مما أدى لاعتقاله والحكم عليه بالسجن ١٠ سنوات ، إلا أنه أفرج عنه عام ١٩٦٨ نتيجة ضغوط دولية^(١٠) ثم اعتقل مرة أخرى عام ١٩٧٥ بتهمة قيادة تظاهرات ضد نظام الحكم .

وقد نفى طلقانى عام ١٩٧١ إلى جنوب شرق إيران عقب دعوته فى خطبة دينية إلى إعادة العمل بدستور ١٩٠٥ الديمقراطى فى إيران .^(١١) ويذكر من مواقف طلقانى السياسية أيضاً فى إطار الدفاع عن الحريات السياسية إدانته لإنشاء حزب النهضة

(راستاخيز) عام ١٩٧٥ كحزب أوحده في إيران ، ووصفه تلك الخطوة بأنها غير ديمقراطية وغير إسلامية .^(١٣) وكانت دروس طلقاني في مسجد هدايت توجيهًا أيديولوجيًا للشباب الإيراني المسلم ، وكان من بين المترددين على تلك الدروس بعض قادة منظمة مجاهدي الشعب الإيراني فيما بعد (سازمان - مجاهدين - خلق - إيران) .

وقد تولى طلقاني مسألة جمع تبرعات - خاصة من رجال البازار - لمساندة عائلات المعتقلين السياسيين وضحايا نظام الشاه ، وكذا لدعم أنشطة مجاهدي الشعب . ويعتد طلقاني من رجال الدين الأوائل الذين حملوا دروسهم وفكرهم معهم وذهبوا بها إلى الجامعات على شكل إلقاء محاضرات منذ الخمسينات .

وقد مثلت سنوات السجن العديدة لطلقاني مع معتقلين من تنظيمات يسارية وعلمانية فرصة للحوار بينهم مما جعل طلقاني يعي مدى النقاء الثوري لدى هؤلاء الشباب والرغبة في التضحية بالذات لدى هؤلاء - خاصة الشبان منهم - في نضالهم ضد الحكم . ومن جانب آخر لفت طلقاني انتباه أولئك الشباب بوصفه رجل دين متفتحاً ومتقدماً فكرياً على غير عادة الكثير من رجال الدين في إيران آنذاك .

أما أثناء الثورة فقد قاد طلقاني تظاهرة من مليون ونصف مليون مواطن في ديسمبر ١٩٧٨ في ذكرى عاشوراء تطالب بالجمهورية الإسلامية ضمن سلسلة التظاهرات التي مثلت تطور التفاعل الشعبي مع الحركة الثورية ، وأصدر بياناً أدان فيه مذابح النظام الحاكم ضد المتظاهرين العزل وطالب بمشاركة شعبية واسعة في مراسم جنازات الشهداء .

وقد نظم طلقاني ونسق عددًا من الإضرابات والاعتصامات لعمال المصانع وعمال النفط والموظفين . كما أن الضباط والجنود الذين كانوا يفرون من قوات مقاومة التظاهرات الشعبية كانوا يلجئون إلى بيت طلقاني ، ومن هناك ينضمون للتظاهرات الشعبية . وبالتالي غطت شعبيته كافة الفئات ، بل إنه قاد في يناير عام ١٩٧٩ تظاهرة من المدرسين المضربين وتوجهوا - ومعهم مئات الآلاف من الإيرانيين - إلى جامعة طهران حيث حرروها من الجيش الذي كان قد استولى عليها في نوفمبر ١٩٧٨ .^(١٤)

ولا يجب نسيان أن موقف طلقاني قد تغير من تأييد إعادة العمل بدستور عام ١٩٠٥ في أوائل عام ١٩٧٧ إلى تبني موقف الخميني المطالب بإسقاط النظام البهلوي برمته . وفي هذا الإطار كان الدور الهام الذي لعبه طلقاني كهزمة وصل بين الخميني في

باريس من جانب وبين القوى اليسارية والوطنية والليبرالية والإسلامية التقدمية (عجاهدى الشعب) داخل إيران من جانب آخر . وبعد الإفراج عنه للمرة الأخيرة في أكتوبر عام ١٩٧٨ شجع طلقاني أنصاره وأتباعه على تكوين والانضمام إلى مجالس محلية (شورى - يى - محلى) أنشئت لإدارة الأحياء والمناطق في وقت غابت فيه سلطات الدولة الفعلية . كذلك التزم طلقاني بتأييد المجالس العمالية التى أنشئت على أسس عفوية لإدارة أماكن العمل .^(١٣) وكان طلقاني يرى في ذلك تطبيقاً لمبدأ الشورى على مستوياته القاعدية ، وضماناً لمشاركة المسلمين مباشرة في إدارة شؤونهم .

وإذا جاز لنا أن نتعرض لخطب طلقاني قبل انتصار الثورة ، فإننا نرى أنه يوضح أن الحكومة الإسلامية هي حكومة التوحيد وحكومة المستضعفين بقيادة مرجع تقليدى كالحميني ، وهي تقوم على أكتاف المجاهدين والمجتهدين (رجال الدين) وليس على أساس الثروة أو الاعتماد على أسلحة الدمار أو الاستبداد أو باللجوء للإمبريالية .^(١٤) كما أظهر طلقاني وعياً بعيد المدى عندما أذاع في خطبه القوى المتآمرة على الثورة من داخلها ، وتلك العاجزة عن تكملة مسيرة الثورة ، واعتبر هذه القوى موالية للإمبريالية والصهيونية وقوى مغتربة عن ذاتها لاتدرك مصالحها ومصالح المستضعفين .^(١٥)

وكان طلقاني أول من ظهر على شاشة التلفزيون الإيراني بعد استيلاء المسلمين الثوريين عليه في فبراير عام ١٩٧٩ وهنأ الشعب بانتصار الثورة غير عابىء بتلك المخاطرة في وقت لم تكن فيه الثورة قد استقرت تماماً .

وقد ناضل طلقاني بعد انتصار الثورة من أجل وحدة الحركة الإسلامية وتجنباً لضعف الجمهورية الوليدة . ورغم ذلك فلم يكن يرى ذلك من خلال قمع حرية قوى سياسية معينة ، حيث إنه عندما اعتقل اثنان من أبنائه من جانب اللجان الثورية - التى شكلها الحزب الجمهورى الإسلامى الذى تأسس في مارس عام ١٩٧٩ من جانب رجال دين مثل آية الله بهشتى ومفكرين مثل حسن آيات - في ابريل عام ١٩٧٩ ، انتقل بعيداً عن طهران تجنباً لعمل يقوم به أنصاره ويهدد وحدة القوى الثورية .^(١٦) إلا أن أنباء إضرابه عن الطعام احتجاجاً على اعتقال ابنه وصلت مسامع أنصاره مما أدى إلى قيام تظاهرات احتجاج بالإضافة إلى رسائل احتجاج من آيات الله ضد هذا الانتهاك للحقوق السياسية . وقد أكد طلقاني أن احتجاجه ليس دفاعاً عن ابنه بل عن حرية الشعب ، ولكنه جدد ثقته بقيادة الحميني . وفي ذلك الوقت أكد مجاهدو الشعب أنهم مستعدون للقتال دفاعاً عن الحريات السياسية .^(١٧)

السياسية ، فهناك ٤ مسائل محددة يجب التعرض لموقف طلقانى من كل منها :

(١) موقف طلقانى من منظمة مجاهدى الشعب :

يمكن القول بأن إنشاء المنظمة كان تحت تأثير دروس طلقانى فى جامع هدايت وحواره فى السجون - أثناء فترات اعتقاله - مع الشبان المعتقلين من اتجاهات سياسية مختلفة . وهناك ثلاثة من مؤسسى المجاهدين من تلاميذ طلقانى وهم محمد حنيف نزهت وسعيد محسن وعلى أصغر بديزادجان .

وقد ارتبط طلقانى - ضمن رجال دين آخرين - بالمنظمة ؛ وأدى ذلك لنفيه عام ١٩٧١ . وقد أدى ما سُمى « بالانقلاب الماركسى » فى صفوف المجاهدين عام ١٩٧٥ واعتراف أحد العناصر الماركسية المنشقة للحكومة باستمرار صلات طلقانى الوثيقة بمنطقة المجاهدين الأصلية (الإسلامية) إلى اعتقاله والحكم عليه بـ ١٠ سنوات سجنًا ، ولكنه أفرج عنه تحت ضغوط دولية فى ٣٠ أكتوبر عام ١٩٧٦ . (٢٥)

وقد وصف طلقانى قادة منظمة المجاهدين بأنهم تلاميذ مخلصون للقرآن وأنهم هم الذين فتحوا الطريق أمام الجهاد . (٢٦) وأكد الدور الإيجابى الذى لعبته المنظمة فى ثورة ١٩٧٨ - ١٩٧٩ .

ورغم عدم وجود إدانة علنية من جانب طلقانى للمجاهدين ، فإن بعض المصادر تذكر أنه اختلف معهم فى إعطائهم الأولوية للعامل الاقتصادى فى التحليل ورفضهم للملكية الخاصة ، وكذلك فى تحالفهم مع منظمة فدائىي الشعب الماركسية ، وإنه اجتمع مع قادة المجاهدين عدة مرات لتصحيح هذه المواقف . (٢٧)

وقد التقى آية الله طلقانى بمسعود رجوى زعيم المجاهدين عقب إطلاق سراح الأخير فى يناير عام ١٩٧٩ لمناقشة النتائج المترتبة على مغادرة الشاه لإيران ، ولتأكيد إقناع رجوى بتأييد زعامة الخمينى . (٢٨) كما كان طلقانى على تنسيق مع المجاهدين طوال فترة الثورة .

ومن جانبهم ، أطلق المجاهدون على طلقانى لقب « الأب طلقانى » واعتبروا أنفسهم « الأبناء المخلصين للأب الرحيم طلقانى » .

وقد انعكس خلاف طلقانى مع المجاهدين فى بعض المواقف - خاصة بعد الثورة - على اتجاه العديد من أنصاره وأتباعه بعيدًا عن المجاهدين فيما بعد .

(ب) موقف طلقاني تجاه الأقليات :

عندما حدثت قلاقل في تركستان وكردستان بعد الثورة ، سافر طلقاني إلى المنطقتين وبذل جهودًا للمصالحة بين ممثلي الأقليات والحكومة . وكان يحظى عمومًا باحترام الأقليات ، ومنها الأقليات السنية ، بل والأقلية اليهودية أيضا التي أقامت له تأبينًا في معبد طهران بعد وفاته . إلا أن طلقاني كان دائمًا يحذر من التوجهات الانفصالية للأقليات والتي تضعف وحدة القوى الإسلامية .

(ج) موقف طلقاني من دور رجال الدين في السياسة :

كان طلقاني يرفض من حيث المبدأ إعطاء رجال الدين أى امتيازات فوق المواطنين العاديين ، إلا أنه اعتبر أن تفسير الشريعة واجب عليهم وحق لهم ، وهو ما يختلف به عن رأى مفكرين إسلاميين إيرانيين آخرين مثل د . على شريعتى .

وقد عاب طلقاني على رجال الدين تقلدهم مناصب تنفيذية ، وطلب ببقاء رجل الدين في المسجد ليبقى معبرًا عن ضمير الأمة ومرشدًا لها ، وفي حالة رغبته في الترشيح لمنصب تشريعية فيجب أن يكون ذلك على قدم المساواة مع الأفراد العاديين . (٢٩)

وقد وقف طلقاني في مواجهة الكثير من كبار رجال الدين الإيرانيين في هجومهم على الدكتور على شريعتى ، واعتبر أن شريعتى مفكر ثورى إسلامى أصيل . إلا أنه أظهر احترامه لمراجع التقليد وللمؤسسة الدينية ككل . ولكن هذا الاحترام لم يمنعه من المطالبة باستبدال مراجع التقليد بمجلس يضم أكثر رجال الدين علما واحتراما من الناس للتقرير في المسائل الدينية . (٣٠) وكمنت خطورة هذا الاقتراح في أنه عنى احتكار مجموعة موحدة للفتوى في رأى الإسلام ، في حين أن تعدد مراجع التقليد كان يمثل إرثًا ديمقراطيًا في الحركة الشيعية لأنه يعطى الفرصة للشيعى أن يتبع المرجع الذى يختاره .

وفي يناير عام ١٩٧٩ - قبل عودة الخمينى لإيران - كون بعض رجال الدين « مركز استقبال الإمام » وبدأ أنهم يستبعدون طلقاني ويقللون من دوره في الثورة . وقد رفض المركز طلب طلقاني بأن يكون في استقبال الخمينى ممثلو كل التيارات التى شاركت في الثورة ، واقتصر الاستقبال أساسًا على رجال الدين ، مما خلق نوعًا من الحساسية بين طلقاني وهذه المجموعة من رجال الدين . (٣١)

وقد رفض طلقاني الانضمام للحزب الجمهورى الإسلامى الذى كان يسيطر عليه رجال الدين . وبدورهم فقد رفض الكثير من رجال الدين أن يرأس طلقاني مجلس

الخبراء المخول بإعداد المشروع النهائي للدستور ، رغم أنه الحائز على أعلى نسبة أصوات في انتخابات هذا المجلس . (٣٢)

أما عن علاقة طلقاني بالخميني ، فإنه كان يؤيده منذ عام ١٩٦٣ انطلاقاً من مبدأ تأييد الجناحين السياسى والثورى داخل المؤسسة الدينية . وعقب انتصار الثورة عينه الخميني في أغسطس عام ١٩٧٩ إمام الجمعة في طهران . وقد التقيا عقب اعتقال ولدى طلقاني في أبريل عام ١٩٧٩ وزال سوء فهم مؤقت بينهما ، وأكد طلقاني دائماً إيمانه بقيادة الخميني وأشاد باستماع الأخير إلى كل الآراء واتخاذ القرار الصحيح بعد ذلك . وعند وفاة طلقاني سباه الخميني « أبا ذر الجديد » . (٣٣)

(د) موقف طلقاني من الماركسية والماركسيين الإيرانيين

انتقد طلقاني الماركسية لتجاهلها اختلاف الظروف بين الدول ، ولأنه في إطار بيئة قمعية سياسياً فإن الحكم يؤول إلى الانتهازيين الذين يسلون عنق المبادئ للخدمة مصالحهم ويقودون المجتمع في الاتجاه الذى يحفظ لهم قوتهم . (٣٤) وذكر طلقاني أن كلمة « الشيوعية » بمعناها الحرفى هى السياسة التى وضعها النبى - ﷺ - في المدينة بمؤاخاته بين المهاجرين والأنصار . إلا أنه من الناحية الفلسفية رفض المادية التاريخية وأكد الإرادة المطلقة للخالق في الكون وليس سيادة المادة . ووصف طلقاني النخب الحاكمة في الدول « الشيوعية » بأنهم رأساليون جدد يستبدون العباد . وأعرب عن شعوره بالأسى لأن اليساريين لم يعرفوا من الإسلام إلا التعاليم البالية لبعض رجال الدين . ولم يعتبر طلقاني الماركسية تهديداً مباشراً في الظرف الراهن للإسلام الثورى . (٣٥) وعلى مستوى الممارسة ، وفي الأربعينات ، صاحب طلقاني الجيش الايرانى حتى رنجان عند هجومه على الحكومة الانفصالية بقيادة جعفر بشاوارى في أذربيجان ، واعتبر طلقاني تأييد السوفيت لهذه الحكومة دليلاً على عداء هذه الحكومة للدين وحث الجنود على قتالها . (٣٦)

إلا أن طلقاني قد اختلف فيما بعد مع رجال الدين الآخرين في أسلوب التعامل مع الماركسيين وآمن بأنه يمكن كسب الماركسيين للصنف الإسلامى بالحوار الهادئ والقائم على الاحترام . لكنه أثناء قلاقل كردستان وتركمنستان بعد الثورة أدان تورط الشبان ومن أسماهم مدعى اليسارية في هذه الاضطرابات وأدان اعتبار اليساريين الشبان أنفسهم أنهم الأوصياء على الشعب ، وأدان حديثهم عن العمال وهم يكتفون بتلاوة الأناشيد .

كما ندد بموقفهم من مسألة حقوق المرأة ، وبعدها لهم للخميني رغم نصره الأخير للمستضعفين ، واعتبر طلقاني أنهم عزلوا أنفسهم عن الشعب . (٣٧)

ثانيا : طلقاني وإعادة تفسير الفكر والتاريخ الإسلاميين بصفة عامة والفكر الشيعي بصفة خاصة :

تعود جذور هذه المسألة في فكر طلقاني إلى الثلاثينات عندما حثه أستاذه بالمدرسة الفيضية بقم آية الله محمد تقى يازدى بأن يكرس حياته لإحياء المؤسسة الدينية وتوجيه جهدها لخدمة قضايا الأمة في هذه الحياة الدنيا .

وقد أعطى طلقاني الكثير من المحاضرات لتوصيل مايرى بأنه المعنى الصحيح للقرآن وكتب تفسيره الخاص للقرآن تحت عنوان « قبس من القرآن » (بارتوفى أز قرآن) ، وكان يحاول في عملية إعادة التفسير تلك التأكيد على أنه رغم أن معاوية بن أبى سفيان هو أول من حول الإسلام إلى دين جهل ورجعية فلان محاولات الإقطاع والرأسمالية للانحراف بالفقه الديني بقيت هامشية وفشلت في أن تنزع قيم الحق والعدل من قلب الفكر الإسلامى . (٣٨) وهنا يتضح اختلاف طلقاني مع شريعتى الذى كان يرى أن الأسرة الصفوية التى حكمت إيران لعقود طويلة ، ورجال الدين الذين والوها زيفوا كافة المفاهيم الإسلامية والشيعية وأعطوها معانى مضادة لمعانيها الأصلية .

وقد أسست حركة تحرير إيران برئاسة طلقاني دار حسينية إرشاد لإلقاء المحاضرات التى تعبر عن الفكر الإسلامى التصحيحي الذى يجعل فقه الشيعة في اتصال بحياتهم وقضاياهم ، وكان يحاضر بها شريعتى وآية الله مرتضى مطهرى .

وفي عامى ١٩٦٣ و ١٩٧٨ طالب طلقاني مسلمى إيران باتخاذ القدوة في الإمام الحسين وتضحيته بنفسه في سبيل الحق والعدل ، وقد دفع ذلك المصلين للتحويل من احتفالات سلبية لإحياء ذكرى عاشوراء إلى القيام بتظاهرات سياسية ضد نظام الشاه وحمل أكفانهم على أيديهم . (٣٩) وقد نجح طلقاني في نشر فكرة التضحية بالذات وكذا المدلولان السياسى والثورى لأحداث عاشوراء ، وساعده على ذلك كونه إمام مسجد على صلة مستمرة بالجمهور .

وقد حث طلقاني الخميني على إعادة صلاة الجمعة في طهران وكافة المدن الإيرانية الأخرى بعد الثورة بما أن المسلمين يؤدونها بعيداً عن أئمة معينين من سلطة غاصبة . (٤٠)

ويمكن من جانب آخر تتبع آثار فكرة هجرة المجتمع - ولو على المستوى الروحي والفكرى على الأقل - في فكر طلقاني عندما تحدث عن إمكانية تربية مجموعة صغيرة من الأفراد على قيم التحرر من العبودية للسلطة أو الثروة أو أى شيء غير الله . وتنبأ أن هذه المجموعة ستجذب كل ضحايا الاستبداد والاستغلال . أما عن مفهوم « التوحيد » فيرى طلقاني أن التوحيد يعنى بالضرورة الجهاد ضد كل « أوثان الأرض » والتي تمثلها كل قوة أو فرد أو طبقة تحتكر السلطة السياسية أو الاقتصادية أو الروحية .^(٤١) وهنا يتشابه طلقاني مع فكر كل من شريعتى وأبى الأعلى المودودى وسيد قطب عن التوحيد ، ولكن طلقاني يرى أنه طبقاً لهذا التعريف للتوحيد فإن الإسلام يتفق مع مفاهيم مثل الاشتراكية والديمقراطية طالما تؤدي إلى التوحيد ولا تعتبر غاية في حد ذاتها . ويذكر أن التوحيد يعنى إقرار أن الكون وكل ثرواته ملك لله ، وعلى كل مسلم القيام بمسؤوليته لتأكد انتفاع المجتمع ككل بهذه الثروات .

ويطالب طلقاني بتصحيح العلاقة بين العرب والإسلام في الفكر الإسلامى ، فيقول إنه لا يحق للعرب القول بأنهم أفضل من المسلمين غير العرب لأن الإسلام جاء من أرض عربية لأن المسلمين سواسية في الحقوق دون النظر إلى العنصر أو العرق ، وإن معيار التفاضل هو التقوى . ويرى طلقاني أن « عنصرية العرب » - كما يسميها - وغيرهم من الأعراق التي دخلت الإسلام هي التي تؤدي لغياب الثقة المتبادلة بين الشعوب الإسلامية وتمكن القوى الخارجية من تقسيم المسلمين .

ويطالب طلقاني أيضاً بتحديث النظام التعليمى الإسلامى حتى يكون هدفه التعرف على وظائف وأسباب كافة ظواهر الكون ، وتقوية إرادة مقاومة القهر والعدوان داخل النشء ، وتنمية الإحساس لديهم بالمسؤولية تجاه المجتمع وبضرورة العمل لصالح المستضعفين وتحريرهم من العبودية لغير الله . ويرى أنه بذلك يتفق التعليم مع تعاليم الإسلام .^(٤٢) ويلجأ طلقاني إلى المقارنة مع كتب غربية في علوم الفلك والطبيعة لتأكيد صحة ما ورد بالقرآن حول الكون - وهو أمر لا يلجأ إليه عادة رجال الدين رفضاً لمقارنة ما هو إلهى بما هو بشرى . ولكنه يذكر أنه مهما بلغت معارف البشر فهم عاجزون عن المعرفة الكاملة بكل شيء .

وهكذا ، عمل طلقاني على تنمية وعى متنام خاصة لدى الشباب بإعادة المفاهيم الدينية إلى مدلولاتها السياسية والاجتماعية خدمة لقضايا الأمة الإسلامية والشعب الإيراني بصفة خاصة .

ويرى طلقاني في الحج نخلص المسلمين من أزيائهم التي تعكس تميزهم الطبقي ويصبحون جميعاً عباداً لله ، وذلك رمز لوحدة البشرية وتخطى الخلافات الدنيوية ومساواة كل المؤمنين واتفاقهم على رفض العبودية للاستبداد السياسي والاستغلال الاقتصادي . (٤٣)

ثالثاً - طلقاني ومسألة الجهاد وموقفه تجاه الاستعمار والصهيونية :

يرى طلقاني أن الدول حالياً ما هي إلا إقطاعيات يحكمها قادة تسيطر عليهم عداوات وأطماع فردية ورغبة في الحفاظ على الحكم واستغلال عرق الكادحين للحفاظ على امتيازاتهم . كما أن هؤلاء القادة يستحثون مواطنيهم على قتال بعضهم البعض تحت لافتات « الوطنية » « القومية » ، وهذه الحروب تحقق في النهاية فقط مصالح هؤلاء الحكام . وبدلاً من أحياء وعى الكادحين اتهم طلقاني المثقفين في هذه الدول بالبحث في النظريات البعيدة عن الواقع .

أما عن تصور طلقاني لموقف الإسلام تجاه الحرب فهو يرى أنه رغم عداة الإسلام للحرب من حيث المبدأ إلا أنه في ظل معطيات عالمية لا يتحكم فيها الإسلام فإن الإسلام لا يتحقق إلا عندما يتحقق أمن البلدان الإسلامية في شكل معاهدات سلام مع الدول غير الإسلامية . (٤٤)

ولكن الإسلام يطالب ، في تصور طلقاني ، بالجهاد في سبيل الله ، وهو دفاع عن مبدأ وحق ووطن . و « سبيل الله » في رأى طلقاني هو كل ما يؤدي لرخاء البشرية ، هو طريق الحرية والحق والعدل حيث لا تستطيع طبقة أو جماعة أو فرد فرض هيمنتها على البشر وإعاقة التطور الفكري والروحي للمجتمعات البشرية أو تحول بين البشرية وحققها في الانتفاع بموارد الكون التي خلقها الله للبشر ككل . (٤٥) وهنا يقترب طلقاني من تفسير شريعتي للحروب التي تتم بين الكادحين من دول مختلفة لصالح طبقة الحكام والمستغلين ، إلا أن طلقاني يركز على حماية التطور الفكري والروحي للمجتمعات البشرية أكثر من الجانب المادي .

ويعتبر طلقاني أمر الجهاد في سبيل الله هو جهاد لتحرير الإنسان ، وإنه يندرج تحت العبادات في إطار الفقه الإسلامي . ويرى أن الناس في هذا العالم تنقسم إلى مؤمنين ومشركين ، وإن المشركين هم أتباع الطاغوت الذي يهتك بكل الروابط

والالتزامات الاجتماعية ويمثل الاعتداء على الحق والانحراف عن الصراط المستقيم .
والجهاد كما ذكر الرسول - ﷺ - يبدأ داخل النفس البشرية ضد الطاغوت والأنانية .
ويطالب طلقاني المسلمين بالابتعاد عن الغزو والتدخل في أراضي الآخرين ، ولكنه
يطالبهم بالجهاد لتوصيل صوت الإسلام إلى كل البشر ولتحرير هؤلاء البشر من أى
أغلال تعوق حياتهم الحرة . فيجب على المسلمين القضاء على كل الطبقات والقوى
التي تستغل هؤلاء البشر وتعتدى على حرية تفكيرهم وتضع الشعوب في حروب مع
بضعها البعض . لذلك كله يطالب طلقاني بالجهاد لإخراج البشر من العبودية
للقوانين البشرية إلى العبودية لله . (٤٦)

ويذكر طلقاني أن الإسلام يهدف لإصلاح العالم كله وإقامة العدل في الأرض ،
والسلام يحل مع الذين يسلمون والذين يرفضون اعتناق الإسلام ولكن يتبعون النظام
الإسلامي العام بحيث يصبحون ذميّين ولهم نفس حقوق المسلمين . (٤٧)

ويضيف طلقاني إلى هذا النوع من الجهاد أنواعا أخرى ، فيرى إمكان حدوث
الجهاد عندما تتعدى أقلية دينية حدود وضعها الذمي بأن تجور على المسلمين أو تتعاون
مع أعدائهم أو تبني دور عبادة جديدة لها . وكذلك يبيح طلقاني - بل ويحبذ - الجهاد
ضد الاستبداد إذا لم يؤد نصيح المسلمين للمستبد بالتخلي عن استبداده إلى نتيجة . وفي
هذا الإطار يشير طلقاني أنه لهذا السبب فإن الأحاديث النبوية اشترطت وجود سلطة
عادلة لإعلان الجهاد ، وذلك كضمان ألا تكون الحرب لتقوية نظام مغتصب وقاهر .
والسلطة المستبدة هي تلك التي تحلل ما حرم الله وتعاذى ما أمر به الله ورسوله وتحتكر
ثروات المسلمين ، وإن الجهاد واجب على كل مسلم وإلا تعرض لعذاب مماثل لما
سيتعرض له المستبدون . (٤٨)

ويعطى طلقاني أيضا الحق في الجهاد للذين تعرضوا للغزو أو قهر وطردهوا بغير عدل
من أرضهم لأنهم قالوا ربنا الله ، ويجب أن يستقروا في أرضهم ليقوموا بدينهم
وعباداته . ويربط كذلك بين الحج والجهاد فيرى أن التضحية في الحج تعنى أن يكون
المسلم دائما مستعدا للتضحية بنفسه في الجهاد من أجل أن تسود وحدة البشرية
ومساواتها في الواقع اليومي للمجتمعات كما هي في الحج . ولذلك يرصد طلقاني مجيء
آيات الجهاد بعد آيات الحج والتضحية في القرآن الكريم .

ويحسن في هذا الإطار أن نتعرض لموقف طلقاني من مسألتى الاستعمار والصهيونية
على النحو التالي :

(١) موقفه من الاستعمار :

عندما عذب آية الله محمد رضا سعيدى حتى الموت عام ١٩٧٠ بعد تنديده علناً بالنهب الذى تمارسه المؤسسات الأمريكية لثروات إيران ، دعا طلقانى لتنظيم تظاهرات إلا أنها أعلنت غير قانونية بواسطة السلطات آنذاك واعتقل طلقانى .

فطلقانى يرى أن المسلمين ضعفاء وتابعون لأنهم محكومون من العالم ، ويجب أن يتحولوا إلى شهداء إذا شاءوا حكم العالم ، ويعتبر أن سبب تخلف حياة المسلمين واقتصادهم وثقافتهم هو استسلامهم للمستعمرين الأجانب والحكومات التابعة لهم . وفى نظره ، فإن النظام الطبقي الرأسمالى قد أنشئ فى البلدان الإسلامية بشكل يحتم التبعية للغرب ويفتح الباب أمام التأثير الغربى . (٤٩)

ويعتبر طلقانى نفسه « مصدقيا » نسبة لرئيس الوزراء مصدق ، وبمعنى تأكيد هدف الاستقلال الوطنى بعيداً عن الاستعمارين الغربى والشرقى اللذين يرى الخلاص منهما فى الإسلام ، (٥٠) كما يتهم الاستعمار الغربى بتوسيع الهوة وتضخيم الخلافات بين الإسلام والشيوعية . (٥١)

ورأى طلقانى فى الثورة الإيرانية إيقاظاً للعالم الإسلامى والشرق كله اللذين يعانيان من الإذلال والاستعمار . وقد طالب منذ الأيام الأولى لانتصار الثورة بوحدة القوى الثورية لمواجهة التهديد الإمبريالى ، على ألا تكون هذه الوحدة على حساب الحقوق السياسية لكافة قوى الثورة . واعتبر طلقانى كل ثورة تقوم فى أى بقعة من العالم ضد الاستبداد والإمبريالية ثورة إسلامية ، ورأى أن الشعوب المقهورة فى العالم تمثل الإرادة الإلهية التى أمرت بنصرة المستضعفين فى الأرض . واعتبر ثورة إيران هى ثورة المستضعفين الأم فى العالم كله .

(٢) موقفه من الصهيونية :

كان طلقانى من أبرز المعادين الأوائل للصهيونية وداعية لقضية الشعب الفلسطينى فى إيران . وقد ربط دائماً بين مساعدة نظام الشاه لإسرائيل ، وانتفاع الصهيونية العالمية من ثروات مسلمى إيران التى ينهبها هذا النظام وبين محاولات تغريب المرأة الإيرانية فى الزى والتفكير من جانب الصهيونية . وأثار كثيراً الشعب الإيرانى ضد يهود إيران باعتبارهم الطبقة المترفة فى المجتمع والمكونة من الرأسماليين والمضاربين . (٥٢)

وأشار طلقاني إلى اعتماد إسرائيل الكامل على ما أسماه بالإمبريالية الأمريكية واعتبر الصهيونية الشكل الجديد للاستعمار ، والبهاية الوجه الداخلى فى إيران لإسرائيل والصهيونية ، وأوضح أن البهاية تشكل ركيزة للنظام البهلوى .

وقد أدان طلقاني تعاون نظام الشاه مع إسرائيل واستيراد خبراء زراعيين إسرائيليين بدل الاستعانة بأمثالهم من الدول الإسلامية ، واعتبر الصهيونية وتغلغلها فى كافة مناحى الحياة الإيرانية أخطر تهديد لإيران .

ووصف طلقاني قضية القدس بأنها قضية الحرية الإنسانية عموماً ، وإن الصهيونية حولتها لمركز عنصرية وقهر وأنانية ، لذا يجب على اليهود والمسيحيين الحقيقيين أن ينضموا للمسلمين لتطهير مركز التوحيد هذا من أجل الحرية الإنسانية . وطالب طلقاني بإبقاء القدس ملكاً لكل الأديان السماوية ، وأهاب بالجمهير المسلمة بالاستعداد والتسلح ليوم الزحف لفلسطين رغم ألاعيب الحكومات .^(٥٣) وقد ندد طلقاني بالعدوان الإسرائيلي ضد المسلمين ، خاصة شيعة لبنان وطالب بالاستجابة لأولئك المستضعفين . وقد اتهم اليهود بأنهم يكبرون فى ظل التعصبين الديني والعرقى وبدون أى قوة روحية ويعتبرون العالم بما فيه ومن فيه ملكاً لهم .

بل إن عداء طلقاني لإسرائيل بلغ أنه فى خطاب له فى نوفمبر عام ١٩٧٨ ذكر أن القوات التى تطلق الرصاص على المتظاهرين ليست إيرانية ، بل إسرائيلية فى زى إيراني ، ومسلحة ومدربة بواسطة الولايات المتحدة والغرب .^(٥٤) وكان ذلك التوجه بصفة عامة متفقاً مع جو متزايد من الوعي الإسلامى والعداء للصهيونية فى إيران .

رابعاً - معالجة طلقاني للمسالتين الاقتصادية والاجتماعية :

يعتبر كتاب طلقاني « الإسلام والملكية » والذى ظل محظوراً طوال فترة الحكم البهلوى هو دليلنا الأساسى لفكره الاقتصادى والاجتماعى . وقد قرر فى هذا الكتاب أن الإسلام لا يباثل أى مذهب آخر فى الاقتصاد نظراً لأن كلا من الرأسمالية والماركسية نتاج لتذبذبات حدثت فى الاقتصاديات الغربية .

ويحدد طلقاني عدداً من المبادئ التى تحكم - على حسب رأيه - موقف الإسلام من هذه المسألة ، وهى :

١ - يرى أنه فى حين يعتبر الإسلام الإنسان مالِكاً لثمرة عمله فلن ذلك يتم فى إطار التعاليم الإسلامية التى تنظم الاستفادة بتلك الثمرة . فالفرد الذى يعنى مسؤولياته

تجاه المجتمع له حق التصرف في ثروته المشروعة . وهنا يضع طلقاني الإيمان الفردي والالتزام الأخلاقي وهما عنصران ذاتيان أساساً لأي سياسة اقتصادية . وبخصوص المال الجارى والقواعد المنظمة للمعاملات الاقتصادية في المجتمع فإن الحاكم منوط به أن يتصرف فيها أحياناً كمالك وأحياناً أخرى كمراقب . ويضع الإسلام قيوداً على كل من المال العام والمال الخاص بغرض إقامة نظام عادل يتفق مع الفطرة البشرية .

٢ - الإسلام يربط الأخلاق بعلاقات الملكية وحقوق الفرد الاقتصادية ويرى أنه يجب رؤية الروابط الاقتصادية في ضوء الغايات الأساسية لكل مجتمع ، وإنه لا يمكن حل المشكلة الاقتصادية بمعزل عن إطارها الاجتماعى والإنسانى الأشملين وهو هنا يناقض مفهوم الحتمية الاقتصادية للماركسية .

٣ - ينبع حق الملكية في الإسلام من العمل ، وللحكومة الإسلامية تحديد الملكية الفردية إذا تهددت مصالح الجماعة وهى ذات أولوية على مصالح الفرد .

٤ - ولل فرد اختيار عمله والتصرف في ناتج عمله و ثروته في إطار الحدود الشرعية للتصرف والملكية ، وللحاكم تحديد مجالات توزيع ما أنتج ، والحد من المكاسب غير المحدودة . ويرى طلقاني أنه إذا منع الفرد من التصرف في ناتج عمله فسينعدم لديه الدافع لمزيد من الإنتاج ، وليس مقبولاً أن يوضع هذا الناتج في خدمة الرأسمالى أو الدولة .

ومن ناحية أخرى يؤكد طلقاني على ضرورة تأمين احتياجات من لا يستطيعون العمل ، أو لا يتجون من العمل ما يكفيهم .

٥ - يؤكد طلقاني على أن ملكية أرض تأتى من استغلال فرد لها ، ولكن إنتاجه يجب أن يكون لفائدة سائر الناس الذين يحتاجون إليه . وبالإضافة لخطر الأنشطة الربوية وشبه الربوية ، فإن طلقاني يرى أن الإسلام يرفض أى كسب بدون عمل .

وعلى الدولة الإسلامية أن تضمن تحديد أسعار السلع بما يعكس قيمتها الحقيقية ، وضمان عدم حدوث كنز للسلع لتحقيق مكاسب أعلى ، أو كنز للمال يحول دون دورانه في مشروعات اقتصادية أخرى .

ويشير طلقاني إلى جزية الخراج على الأرض الزراعية والتي ترك تحديدها للمصلحة العامة ، كما فرض الإسلام الخمس على ملاك الثروات المعدنية .

وطالب بتدخل الدولة لضمان حقوق العمال والفلاحين للتمتع بنتائج عملهم مع

عدم تدخلها ، أو تدخل الرأسماليين ، لتحديد أجر العامل أو ساعات عمله .
 ويعطى طلقانى للحكام الحق فى الاستيلاء على أراض اكتسبها أفراد بطرق غير
 شرعية . وطالب بأن توجه ضرائب منطقة معينة لسد احتياجات المحتاجين فى نفس
 المنطقة . وحث الحكومات الإسلامية على إبقاء حق ملكية الأرض الزراعية فقط
 طالما تتم زراعتها ، وإعطاء الفلاحين حق التنقل بين المزارع لاختيار أفضل أجر .
 ويؤكد طلقانى رفض الإسلام لنمط الملكية الاقطاعى ، وبالتالي لايجب أن تتصرف
 الحكومة كحام لمصالح ملاك الأراضي .

٦ - نظرا لاختلاف مهارات كل فرد عن الآخر لتباين ما وهبه الله له ، فيجب عدم حقد
 مجموعة على مجموعة أخرى من البشر .

٧ - يطالب طلقانى الدولة بتحديد أشكال الاستهلاك بما يؤدي لإنتاج ماهو مفيد
 وحظر أى إنتاج مفسد للفرد والمجتمع ، لأن زيادة استهلاك المنتجات الضارة
 (خمر، تبغ ، فنون منحرفة) يوجه موارد الإنتاج لهذه المنتجات الضارة ، ويهين
 الفقر المعنوى على المجتمع .

٨ - يرى طلقانى أن مشكلة المجتمعات الحديثة تكمن فى تعظيم قيمة الكسب المادى
 وتزايد ممارسة الاحتكار والربا سواء من جانب الأفراد أو الدول . أما الإسلام ، فيرى
 أنه يقر حرية الاختيار فى العمل ووجود علاقة متكافئة قائمة على المساواة فى الحقوق
 بين المالك والعامل . ويطالب طلقانى بأن يكون للعمال والفلاحين نصيب من
 الربح (المشاركة) أو أجر ثابت . ويذكر قاعدة فى الفقه الإسلامى بأنه إذا اختلف
 المالك والعامل حول أجر العامل أخذ برأى العامل .

٩ - يعتبر طلقانى طبقة الطفيليين عاملاً معوقاً للحرية الحقيقية للأفراد وتجعلها تعبيراً
 عن مصالحها الطبقية . ويؤكد أن الإسلام يهتم بتربية شخصية الفرد فى حد ذاتها
 وليس كمجرد جزء من الجماعة ككل .

١٠ - قدم الإسلام - من وجهة نظر طلقانى - مبادئ ثابتة فى الاقتصاد مصحوبة
 بقواعد قابلة للتطور لأنها تعالج مسائل جزئية ومتجددة ويجب أن تلتزم بالمبادئ
 الإسلامية الثابتة وتهدف للرخاء العام .

١١ - يرى طلقانى أن صمت الفقه الإسلامى جعل البعض يعتقد خطأ أن الإسلام يقر
 الرأسمالية^(٥٥) . ويتهم الرأسمالية بأنها وظفت الفن والعلم والحرب والأخلاق
 لزيادة الثروات فقط . ويؤكد أن الإسلام لايعمل لصالح فرد أو طبقة على

حساب الآخرين ، ويطالب علماء الدين باستجلاء قيم الحق والعدالة من المصادر الإسلامية المختلفة وباجتهاداتهم . ويوضح طلقاني أن مبدأ القسط في الإسلام يعطى كل ذى حق حقه ، ويقر التوزيع العادل للثروة ، وأن نشأة النظام الطبقي كانت بسبب الانحراف عن القيم الإسلامية الحقيقية وإعلاء صوت مفاهيم الاستغلال والاستعمار . ويذكر أنه بقدر ما رأينا مجتمعات لاطبقية في مراحل تاريخية مختلفة بقدر ما تتأكد حقيقة أن نشأة المجتمع الطبقي ليست حتمية تاريخية ، ويطالب جماهير المسلمين بمعاينة الإمبرياليين والرأسماليين المستغلين .

١٢ - بما أن الإنسان يمثل الله مالك الأرض وماعليها ، فإنه ليس مستقل التصرف في ثروته ، بل يجب أن يكون ذلك وسيلة لتحقيق أهداف إنسانية عامة . واعتبر طلقاني أن تكريس الثروة كهدف للعلاقات الاقتصادية برر أى قهر مورس لتحقيق هذه الغاية . ويطالب طلقاني كل فرد بأن يأخذ من موارد الحياة ما يحتاجه بالقياس لقدراته الفكرية ، والفيزيائية على أن يجعل ماينتجه من هذه الموارد في متناول يد المجتمع ، لكل حسب حاجته ، مما يقلل من قيمة الطموحات الدنيوية مقارنة بأهمية السمو الروحي والأخلاقي للأفراد استعداداً ليوم الحساب .^(٥٦)

ويعطى طلقاني المثال من المدينة المنورة في عهد الرسول - ﷺ - حيث أعطى الأنصار جزءاً من ثرواتهم الخاصة للمهاجرين بقرار من الحاكم ، وباستثناء ثروات محدودة آل الباقي للدولة ، وقسمت ثروة الدولة بالتساوى بين الأفراد ، لكل حسب حاجته مع وجود قسم مخصص للمجاهدين في سبيل الله .^(٥٧)

١٣ - يطالب طلقاني الدولة بالاستيلاء على ثروات أى شخص لا يوظفها فيما هو شرعى ومفيد للمجتمع . كما يشير إلى واجب الدولة في التدخل في النشاط الاقتصادي لمنع الاحتكار . ويطالب المسلمين بمساعدة بعضهم البعض لأن ضعف بعضهم سيضعف الجماعة ككل . كما يطالب طلقاني بوضع حدود لاتتمدها فئات المجتمع المختلفة حتى لاتتحكم فئة في المجتمع ، ولذا يجب إحداث توازن بين الحكام وأصحاب الملكية الاقتصادية والمثقفين .

١٤ - يذكر طلقاني أنه في المجال الاقتصادي فإن الإسلام والاشتراكية متفقان فيما يراه الإسلام بأن الله لم يقسم البشر إلى مستغلين ومستغلين (بفتح الغين) ، في حين

وبما عرف عنه من استقلال في الرأي والاجتهاد ، فإن طلقاني نجح في تسييس وتثوير مفاهيم إسلامية وشيعية تقليدية . كما أنه وإن لم يكن على وفاق تام مع الكثير من رجال الدين الإيرانيين الذين برزوا بعد الثورة ، فقد كان ابناً وفيماً للمؤسسة الدينية الإيرانية مؤكداً الدور الرئيسي للعلماء في المجتمع ، مؤيداً لقيادة آية الله الخميني وتمشيًا مع اتفاق رجال الدين بانتخاب مجلس خبراء لإعداد دستور الثورة رغم رفضه للفكرة من قبل . وكان واضحاً لدى طلقاني وفي كتاباته ضرورة تفاعل المسجد مع المجتمع ، بالإضافة إلى استلزامه للتراث الإسلامي الشيعي الأول .

وفي إطار فكره السياسي والاقتصادي والاجتماعي فقد تنازعت اختيارات طلقاني فكرة الإجماع والوحدة والانسجام والتناغم بين كافة القوى السياسية والاقتصادية والاجتماعية تحت قيادة إسلامية من جانب ، ومفهوم الصراع بين أضداد من جانب آخر . وعكس تأسيسه لحركة تحرير إيران الفكرة الأولى بمحاولة تجميع قوى مختلفة تحت مظلة واحدة . ورغم ذلك فيمكن القول بأنه كان لطلقاني موقف واضح تجاه تأكيد الحريات السياسية والتعددية والمشاركة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والنضال ضد الانتهازية والاحتكار والطفيلية سياسياً واقتصادياً . كما كان لطلقاني موقف مستير تجاه معظم القوى السياسية داخل إيران . وقد ساعد طلقاني على تطوير مثل هذا الموقف تفاعله مع كافة طوائف الشعب من عمال وطلبة ورجال الدين والمثقفين والأقليات القومية .

وقد عبر طلقاني بعمق عن تفاعل الفرد والمجتمع سواء في حالات الاستقرار أو التغيير وأكد أولوية القيم العقائدية والأخلاقية سواء على مستوى الفرد أو المجتمع في كل هذه الحالات كما أكد الإرادة الفاعلة للبشر .

وكان تعريف طلقاني الواسع للجهاد متصلاً بتفسيره الممتد عالمياً لمفهوم «المستضعفين» وبتفسيره السياسي والاجتماعي لأسباب الحروب . إلا أن طلقاني كان يعي دائماً أولوية الحفاظ على قوة الثورة في إيران كبداية .

كما كان طلقاني صارماً في عدائه للاستعمار بكافة صوره ، ولإسرائيل وخاصة من حيث ربط هذا العداء بأسباب داخلية في إيران سواء أحداث أو مشاكل بعينها .

ومن الهام أن نترقب ما ستأتي به الأيام القادمة في إيران من إجابات حول أسئلة طرح طلقاني رأيه فيها ، خاصة ما يتصل بالمشاركة سياسياً واقتصادياً وبدور رجال الدين وبمفهوم الجهاد وتحديث الفقه وتعظيم القيم الروحية والأخلاقية على ما دونها .

المصوامش

Societe & Economics in Islam : Writings & Declarations of Ayatollah Sayyid (١)
Mahmoud Taleghani, Trans R. Capbell. Introd. Hamid Algar (Berkeley : Mizan
 Press, 1982), p. 48
 Ibid. (٢) bid. p. 58 (٣)

Economics & Society in Islam , op. cit., p.92. (٤)
 Nikki R. Keddie : Roots of Revolution (New Haven & London : Yale University (٥)
 Press, 1981), p.211
 Suroosh Irfani, **Revolutionar Islam In Iran** (London : Zed Press, 1983), pp. (٦)
 91,183. See also : Edward Mortimer, **Faith and Power** (London : Faber and Fa-
 ber , 1982 , pp. 333 - 334.

Economics and society in Islam , op. cit. (٧)
 Ibid. (٨)
Economics and Society in Islam, op.cit. p.12. (٩)
 bid, pp.12 - 13. (١٠)
 keddie, op.cit., p.210 (١١)
 (١٢) - برفاند ابراهيميان . أسباب الثورة الإيرانية ، في إيران ١٩٠٠ - ١٩٨٠ . بيروت : مؤسسة
 الأبحاث العربية ، ١٩٨٠ ، ص ١١٢
 " Everything positive has come from the masses below " , **MERIP Reports**, june (١٣)
 1980. p.11.

Economics and Society in Islam, op. cit., p.129 . (١٥)
 Ibid, p. 135. (١٦)
 Ibid, p.16. (١٧)
 .Suroosh Irfani, **Revolutionary Islam in Iran** (London : Zed Press, 1983, P 184. (١٨)
 See also Edward Mortimer, **Faith & Power** (London : Faber & Faber, 19 , p. 334
 انظر أيضا : د. محمد السعيد عبد المؤمن . مسألة الثورة الإيرانية (القاهرة : بدون ناشر ،
 ١٩٨١) . ص ١٠٩ ابراهيميان . مصدر سبق ذكره ، ص ١٢٧ - ١٢٨

Economics and Society in Islam, op.cit., p.20 (١٩)
 Mortimer, op. cit., p.334. See also keddie, op.cit., pp.210 - 211 See also : Mi- (٢٠)
 cheal M.J. Fischer, **Iran : Form Religious Dispute to Revolution** (Harvard Mas-
 sachusetts : Harvard University Press, 1980) pp. 219 - 220
 Ramy Nima : **The Wrath of Allah** (London : Pluto Press, 1983) p.88. See also (٢١)
 Shahrzad Azad, " Workers & Peasents Counsils in Iran " , **Monthly Review**, Oc-
 tober 1980 , p.17.

Irfani, op.cit., p.145. See also Keddie, op.cit. , p.210. (٢٢)
 (٢٣) محمد السعيد عبد المؤمن ، مصدر سبق ذكره ص ١١٠ - ص ١١١
 Mortimer, op.cit., p.334. See also Irfani, pp.143,184. (٢٤)
 Economics & Society in Islam, op.cit., pp. 13 - 14. (٢٥)

Irfani, op.cit., pp.38,89. See also Kambiz Afrachteh, "Iran", in **Politics of Islamic Reassertion**, ed. Mohamed Ayoob (London, Groomhelm) , pp.103 - 104.

Economics & Society in Islam, op.cit., pp. 18 - 19 (٢٧)

Keddie, op.cit., p.210. See also Union of Muslim Iranian Student Societies Out-side Iran, **Massoud Rajavi : A People's Mujahid** (n.p.,n.p., 1982), p.90

Mortimer, op.cit., p.334. See also Ervand Evand Abrahamian : **Iran Between Two Revolution** (Princeton, New Jersey, Princeton University Press, 1982), p.

451

انظر أيضا : محمد السعيد عبد المؤمن ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١١

Fischer, op.cit., p. 183. See. also Keddie, op. cit., pp. 121 , 213 (٣٠)

Irfani, op.cit., p. 143 (٣١)

Fischer, op.cit., p, 222 (٣٢)

انظر أيضا : محمد السعيد عبد المؤمن ، مصدر سبق ذكره ، ص ١١٠ - ص ١١١

Economics & Society in Islam, op.cit., p.15. (٣٣)

Ibid , p.48. (٣٤)

Irfani, op.cit., pp. 143, 144, 146. Keddie, op.cit., pp. 211, 212. (٣٥)

Economixs & Society in Islam, op.cit., pp (٣٦)

Ibid, p. 17. (٣٧)

Ibid, p. 53. (٣٨)

Afrachteh, op.cit., pp. 102 - 103. (٣٩)

Mortimer, op. cit., (٤١)

Economics & Society In Islam, p. 215. (٤٢)

Ibid, pp. 43, 44, 118 - 119. (٤٣)

Ibid, p.79. (٤٤)

Ibid, p.84. (٤٥)

bid, p.86. (٤٦)

Ibid, pp.97. (٤٧)

Ibid, pp.13,49,102. (٤٨)

Abrahamian, op.cit., p.460. (٤٩)

Keddie, op. cit. (٥٠)

Economics & Society in Islam, p. 89. (٥١)

Ibid, p.139. (٥٢)

Ibid (٥٣)

Economics & Society in Islam, op.cit., p.56. (٥٤)

Ibid, p.58. (٥٥)

Ibid. (٥٦)

Ibid. (٥٧)

Irfani, op.cit. See also : Mortimer, op. cit. (٥٨)

Irfani, op. cit. p. 146. (٥٩)

Mortimer, op. cit., p.317. (٦٠)

الفصل الثالث

المحور الفكري للسياسة الخارجية الإيرانية

يصاب بعض المراقبين للسياسة الخارجية الإيرانية أحيانا بالدهشة نتيجة ما يصفونه بتناقض مواقف السياسة الخارجية الإيرانية . إلا أنه من الهام توضيح أنه رغم ما يعرف عن إدارة الرئيس رفسنجاني من الواقعية والبراجماتية ، فهناك أمور يصعب إبراز المرونة فيها نتيجة أنه تحكمها توجهات ذات طبيعة ايديولوجية صدرت أساسا بواسطة آية الله الخميني أثناء حياته ومفكرين إسلاميين آخرين أثروا على فكر الجمهورية الإسلامية . ولاتأتى أهمية أفكار الخميني التي سيشار إليها أساسا في هذه الدراسة - مع الإشارة إلى مفكرين آخرين - فقط للدور المركزي الذي لعبه في الثورة ، وإنما أيضا لأن كافة الشخصيات القيادية في الحكم في إيران سواء أثناء حياته ، أو بعد مماته قدموا آراءهم بوصفها تفسيرات وشروحا لفكر الخميني ، وسعوا إلى جعل أفكار الخميني السند الشرعي للسياسات التي تبناها .

ولاشك أن الايديولوجيات تشكل أحد المؤثرات الهامة على عملية صنع السياسة الخارجية ، خاصة عندما يتعلق الأمر بالتوجهات والقناعات الايديولوجية للقيادات^(١) .

أولا : التصور الفكري للعلاقات الدولية

اعتبر الخميني الحرب ظاهرة استثنائية في حياة الإنسانية . وقسم الحروب إلى ما أسماه بحروب « طاغوتية » وحروب « توحيدية » . وقد عرّف الأولى بأنها حروب تدفع إليها الأنانية والشهوات الدنيوية ورغبة القوى العظمى في السيطرة على الآخرين ، في حين عرّف الحروب « التوحيدية » بأنها إما حروب دفاعية للحفاظ على الاستقلال ، أو جهاد يقوده المؤمنون للتوسع والإصلاح البشرية . وقد اشترط الخميني وجود الإمام لسن هذا الجهاد ، ونفى الخميني إمكانية قيام حرب فيما بين المؤمنين^(٢) . ونتيجة لذلك كان المأزق عندما قامت الحرب مع العراق ، فلما ان يُعرّف العراقيون بأنهم غير مؤمنين وإما أن يعترف بهم كمؤمنين ، مما يفتح الباب لوساطة بقية الأمة الإسلامية .

وقد تحدث الخميني عما أسماه بالإمبريالية الشرقية والإمبريالية الغربية ، ونظر إلى النظام الدولي القائم كنظام ثنائي القطبية ينقسم بين السيطرة السوفيتية ، والسيطرة الأمريكية الغربية . واتهم الدول التي تسمى نفسها دولا غير منحازة بأنها تعتمد - إما علنا أو سرا على الشرق أو الغرب . كذلك اتهم الثورات السابقة في العالم الثالث قبل ثورة إيران بأنها ارتبطت إما بالشرق . أو بالغرب وقد اعتبر الخميني النظام الإسلامي هو النظام الوحيد غير المنحاز ، وبالتالي اعتبر الثورة الإيرانية هي وحدها غير المنحازة نتيجة اعتمادها على الإسلام وتبنيها لشعار « لاشرقية ولاغربية » .^(٣) وقد أكد الدستور الإيراني لعام ١٩٧٩ مبدأ الحياد الإيجابي تجاه مآسياه « بالقوى المتسلطة » في العالم .^(٤) وقد ساوى الخميني بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي كقوى استعمارية تعمل على استغلال العالم الثالث . وعكس مبدأ «عدم الانحياز» لدى المفكرين الإسلاميين في إيران رفض الايديولوجيات الشرقية والغربية المنشأ ، واتهامهم للقوى المستكبرة (أي القوى الكبرى) بمحاولة فرض هذه الايديولوجيات على العالم الثالث .^(٥)

وقد اتهم الخميني القوى العظمى بالهيمنة على النظام العالمي للحفاظ على مصالحها « الأنانية » ، واعتبر هذه القوى مسئولة عن كل مايعانيه العالم من مشكلات وشورر بسبب امتثالها إلى ايديولوجيات ذات مصدر إنساني وليس إلهيا . وقد تنبأ الخميني بتحالف القوى الكبرى بجناحيها : الشيوعية الدولية والمعسكر الغربي بزعامة الولايات المتحدة ، وذلك في معركة مشتركة ضد الإسلام .^(٦) واتهم الخميني أيضا الأمم المتحدة بأنها أداة في أيدي القوى العظمى تستخدمها الأخيرة ضد الدول الضعيفة . كما عبر عن رفضه للشرعية الدولية وقواعد العلاقات الدولية التي وصفها - ومن ورائه العديد من المنظرين الإسلاميين في إيران - « بشرعية تسلط الدول المستكبرة » .^(٧) وقد اعتبر أن القوى العظمى هي التي تحتاج إلى دول العالم الثالث وليس العكس ، وكان مثاله على ذلك هو النفط . إلا أنه لم يتعرض في هذا السياق إلى ضعف العالم الثالث من جهة التطور العلمي والتكنولوجي ، أو غياب الاكتفاء الذاتي في الغذاء وبعض الاحتياجات الأساسية الأخرى . وقد اتهم الخميني بشكل خاص القوى العظمى بالتآمر لتأييد إسرائيل : الغرب والولايات المتحدة بتقديم السلاح لإسرائيل ، والاتحاد السوفيتي بعدم تقديم السلاح الكافي للمسلمين . واتهم هذه القوى العظمى بأنها خططت لمذابح الفلسطينيين في الأردن عام ١٩٧٠ ، وفي لبنان بعد ذلك بهدف إبعاد الفلسطينيين عن دول المواجهة .

وقد اعتبر الخميني إنشاء الحكومة الإسلامية في إيران مجرد خطوة أولى تجاه إنشاء الدولة العالمية ، كما حث إيران بعد الثورة على دعم « المستضعفين » وحركات التحرير عبر العالم . وطالب حكومة إيران بأن يكون هدفها تحرير البشرية بأكملها^(٨) . ومن جهة أخرى ، طالب المستضعفين المناضلين ضد هيمنة القوى الكبرى التي أسماها « بالشيطنانية » في كافة أنحاء العالم بدعم إيران التي أصبحت بعد الثورة - على حسب رأيه - مركزا للمقاومة ضد القوى العظمى . وحذر من أنه إذا تعرضت إيران للهزيمة ، فسيعنى ذلك هزيمة المسلمين والمستضعفين في العالم بأسره .^(٩)

ورفض الخميني الإقرار بالحدود الجغرافية فيما بين الدول ، واعترف فقط بها أسماها بالحدود الايديولوجية ، وأكد أن خلاص البشرية يكمن في تطبيق قوانين الله (الشريعة) . وقد قسم الخميني العالم إلى معسكرين : مستكبرين ، ومستضعفين حيث يهيمن المعسكر الأول على الثاني والذي يضم بجانب المسلمين شعوب العالم الثالث الأخرى . وتنبأ الخميني بأن ميزان القوى سيميل في نهاية الأمر لصالح المستضعفين إذا توحدوا للخلاص من سيطرة المستكبرين ، ولتحقيق السلام والأمن في العالم وتنفيذ وعد الله بالإمامة والحكم للمستضعفين في الأرض .^(١٠) كما أن المفكر الاسلامي الإيراني الدكتور علي شريعتي - والذي توفي عام ١٩٧٧ ، ولكنه يعتبر المنظر الثاني للثورة الإيرانية بعد الخميني - كان قد رأى الإسلام كرسالة عالمية موجهة لكافة البشر ، وانتقد انقسام المستضعفين عبر العالم من خلال حدود وطنية مصطنعة ، كما انتقد محاربة المستضعفين بعضهم البعض لحساب القوى المستكبرة ، وطالب بثورة عالمية من أجل العدل والحرية يقودها المستضعفون في العالم .^(١١)

ويتضح أن شريعتي لم يصّر - مثل الخميني - على أن يكون الإسلام وحده هو عقيدة هذه الثورة . حيث أنه نظرا لأنه تلقى تعليمه بفرنسا ، فقد تفهم وجود اختلافات دينية وثقافية بين المسلمين وبقية شعوب العالم الثالث ، مما يتطلب تعاونها معا دون فرض طرف لأفكاره على الآخر .

وقد عكس الدستور الإيراني لعام ١٩٧٩ ما سبق من أفكار ، حيث تحدث عن المسؤولية الأخوية لإيران تجاه كافة المسلمين ، ودعمها المطلق لكافة المستضعفين عبر العالم . كما حدد الدستور في ديباجته لإيران هدف السعي مع الحركات الإسلامية والجهادية الأخرى لبناء الأمة العالمية وإنقاذ المحرومين في كل مكان على الأرض . كما اعتبر الدستور المجتمع الإسلامي في إيران قدوة ونموذجا لكافة شعوب العالم . وأكد

الدستور التزام إيران على العمل لإقامة حكومة العدل والحق في كافة أرجاء العالم ، وحماية الكفاح الشرعى للمستضعفين ضد المستكبرين في أى مكان على الأرض دون التدخل فى الشؤون الداخلية للدول الأخرى . ^(١٢) ورغم تأكيد الدستور الإيراني لما اعتبره « عالمية » دور الثورة الإيرانية ، فإنه حوى تناقضين مابين التزام إيران بإقامة حكومة عادلة عالميا وبيناء الأمة العالمية من جانب ، وبين تعهده بعدم التدخل فى الشؤون الداخلية للدول الأخرى ، وهو مايعكس الاختلافات فيما بين الفقهاء أعضاء مجلس الخبراء الذى وضع الدستور عام ١٩٧٩ ، ويعكس أيضا مأزق التناقض بين الالتزامات الايديولوجية لإيران كثورة والالتزامات الدولية لإيران كدولة . وهذا النوع الثانى من الالتزامات ربما يكون هو الذى دفع الخمينى عقب نجاح الثورة الإيرانية بمطالبة الحكومة الإيرانية بالتعامل مع كافة دول العالم ، بما يحفظ استقلال إيران ، وعلى أساس الاحترام المتبادل وبما لايتناقض مع القيم والقوانين الإسلامية . ^(١٣)

وإذا كان الدستور الإيراني قد أكد عمل إيران لتحقيق التصفية الكاملة للاستعمار، ^(١٤) فإن الدكتور على شريعتى كان هو الذى طالب الدول الإسلامية بأن تكون طليعة النضال العالمى ضد الاستعمار . وحذر شريعتى من أن الاستعمار يسعى دائما لتجزئة الدول الإسلامية والسيطرة على كل دولة إسلامية على حدة ، كما يسعى لإضعاف عقيدة المسلمين وتدمير شخصيتهم الحضارية المستقلة ، وذلك حتى يتمكن من نهب الثروات الطبيعية للمسلمين ، وفتح أبواب بلادهم كأسواق لمنتجات الدول الاستعمارية . واتهم شريعتى الاستعمار الحديد باستخدام قواه السياسية والاقتصادية والثقافية لاستغلال المسلمين والعالم بأسره . ورأى أن التناقض بين الإسلام والاستعمار حتمى ونهائى لأن الإسلام يدعو للحق والعدل فى حين تسعى الدول الاستعمارية فى العالم لاستقرار سياساتها المستغلة . ^(١٥)

ثانيا : الموقف تجاه الولايات المتحدة.

وفىما يتعلق بالولايات المتحدة الأمريكية ، فقد أسماها الخمينى « بالشیطان الأكبر » واعتبرها أم الفساد فى العالم والعدو الأول لإيران والإسلام عسكريا وسياسيا واقتصاديا ، وأن المعركة بين الجانبيين هى معركة الإسلام فى مواجهة الكفر . واتهم الخمينى الولايات المتحدة باستغلال ونهب ثروات الشعوب ، ومحاولة فرض هيمنتها السياسية والاقتصادية والثقافية والعسكرية . ^(١٦) ووصف الخمينى أية علاقة تقوم بين إيران

والولايات المتحدة بأنها علاقة بين ظالم ومظلوم . وقال إن الولايات المتحدة هي التي تحتاج لإيران ونفطها . وطالب إيران بإنهاء تبعيتها للغرب والولايات المتحدة عسكريا واقتصاديا^(١٧) . واعتبر الخميني دفاع الولايات المتحدة عن الديمقراطية وحقوق الإنسان ستاراً تحاول أن تخفى به أطماعها ، ^(١٨) وأعرب عن تخوفه من محاولة الولايات المتحدة احتواء الثورة الإيرانية وتدميرها .

وقد جاءت فضيحة إيران جيت لتشكل ضربة لمصادقية الحكومة الإيرانية في عداثها للولايات المتحدة . وسواء علم الخميني مسبقاً بالاتصالات والصفقات بين الحكومتين الإيرانية والأمريكية أم لم يعلم بها ، فإنه - وسعياً للحفاظ على وحدة الصفوف خلف الحكم - صور إيران جيت بأنها نصر معنوي للثورة الإيرانية ، لأن معناها اعتراف الولايات المتحدة بأهميتها ، ولأنها مكنت من الحصول على أسلحة دون تقديم أية تنازلات . وجاءت فتوى الخميني في فبراير عام ١٩٨٩ - وقبل أشهر من وفاته - بإصدار دم الكاتب الهندي الأصل البريطاني الجنسية « سلمان رشدي » لكتابه الآيات الشيطانية ودفعه للحكومة الإيرانية لقطع علاقاتها الدبلوماسية مع المملكة المتحدة في مارس عام ١٩٨٩ نتيجة ما أسماه بموقفها العدائي من الإسلام دونما حساب لرد الفعل الأمريكي والغربي المعادي ، جاءت هذه المواقف لتظهر التشدد الايديولوجي للخميني ، وعدم استعداده لمهادنة الغرب أو الأمريكيين فيما يعتبره أمراً يتصل بالقيم الإسلامية الأساسية ، حتى لو كانت نتائج ذلك التصرف سلبية على إيران كدولة . وعقب وفاة الخميني ، ورغم سعي بعض المسؤولين الإيرانيين - في ظل قيادة رفسنجاني الواقعية والبراجماتية - لتحسين العلاقات مع الغرب ، خاصة التعاون الاقتصادي والتجاري بما يحقق الاستقرار والانتعاش داخليا ، فإن القادة المتشددين خاصة في البرلمان الإيراني عملوا على إجهاد أى تقارب محتمل مع الولايات المتحدة عندما أعادوا إلى الأذهان مقولة الخميني بأن إيران لن تمد يدها للولايات المتحدة حتى ولو تعرضت للموت .

ثالثاً : الموقف تجاه الاتحاد السوفيتي :

في ظل حقيقة أن الإيرانيين لديهم حساسية تاريخية تجاه جارهم القوي في الشمال ، أعاد الخميني تأكيد أنه رغم كون المواجهة العاجلة هي مع الولايات المتحدة ، فإنه لم يستبعد أبداً مواجهة آجلة مع الاتحاد السوفيتي . ^(١٩) واتهم الخميني الشيوعية بأنها ضد كرامة البشر ، وأن إيران يجب أن تعتبر نفسها في حالة حرب مع الشيوعية الدولية . وحذر من أن خطر القوى الكبرى الشيوعية والإمبريالية السوفيتية لا يقل عن

الخطر الأمريكي .^(٢٠) وقد تحدث القادة الايديولوجيون للثورة الإيرانية كثيرا عن خطة سوفيتية بعيدة المدى لبلقنة الخليج والمشرق العربي بهدف إنشاء دويلات صغيرة يسودها السوفيت . وبجانب الاهتمام الذي أبداه آية الله الخميني بمسلمي الاتحاد السوفيتي ، والذي تبلور خلال فترة توتر العلاقات السوفيتية الإيرانية منذ عام ١٩٨٣ في توجيه محطة إرسال إذاعي إلى مسلمي الجمهوريات السوفيتية الجنوبية ، فإن الدعاية الإيرانية تركزت ضد الغزو السوفيتي لأفغانستان ، واتهمت الغزو بأنه محاولة لاحتواء انتشار المد الإسلامي في الجمهوريات السوفيتية الجنوبية المسلمة .^(٢١) ولكن تجدر الإشارة هنا إلى ثلاث نقاط أساسية : أولا : إن الدعم الإيراني للمجاهدين في أفغانستان كان دائما أقل من الدعم الموجه لهم من باكستان ، وإن أحد الأسباب الهامة لذلك كانت الحسابات السياسية البحتة لرد الفعل السوفيتي تجاه ذلك الدور الإيراني ، بالإضافة لكون غالبية مسلمي أفغانستان من السنة وليس الشيعة ، ثانيا : إنه حتى في خضم الخلاف مع السوفيت ، كانت شخصية قيادية مثل رفسنجاني تؤكد على إمكانية ازدهار العلاقات الاقتصادية مع السوفيت دون تجاهل وجود نقاط خلاف مثل الخلاف العقائدي والخلاف حول أفغانستان ،^(٢٢) وهو موقف يعكس حسابات رجل دولة ، وليس رجل دين يندرج ضمن قيادة ثورة عقائدية . أما النقطة الثالثة ، فهي أن الخميني وجه رسالة إلى جورباتشوف قبل وفاته دعاه فيها للدخول في الإسلام بعد أن ثبت فشل الشيوعية . وعلى عكس ما كان متوقعا من أثر سلبي لهذه الرسالة على العلاقات الإيرانية / السوفيتية ، فإن جورباتشوف رحب بها ، ورد بأن على مثقفي ومفكري البلدين أن يتجادلوا في هذا الأمر ، وهو رد اعتبره الخميني إيجابيا لدرجة دفعته لاستقبال وزير الخارجية السوفيتي شيفرنادزه في وقت كان قد توقف فيه عن استقبال مسئولى الدول الأخرى .

رابعا : إيران وقضايا العالم الإسلامي.

اعتبر الخميني الوحدة الإسلامية هي السبيل للاستقلال والاعتماد على الذات ، وتحدث عن وحدة إسلامية تسمح باحتفاظ كل قطر باستقلاله الذاتي وحكومته الخاصة مع تعاون كل هذه الأقطار لمواجهة أعداء الإسلام . وقد تكون دعوة الوحدة بهذا الشكل قد هدف من ورائها الخميني طمأنة حكومات الدول الإسلامية الأخرى بأن مفهومه للوحدة لايعنى توحيد المسلمين تحت حكم إيران الثورة وإسقاط كل حكومات الدول الإسلامية الأخرى .

وقد رأى الخميني أن الإسلام لا يعترف بالحدود بين الدول الإسلامية ، وأن مشاكل المسلمين تعود لتفرقهم وأن استمرار الفرقة بين المسلمين يحقق استمرار استغلال بلادهم ومواردهم الطبيعية من قبل القوى الاستعمارية . ^(٢٣) وقد اعتبر كذلك أن وحدة المسلمين هي طريقهم الوحيد لحكم العالم وإحياء حضارتهم . ^(٢٤) وطالب الخميني المسلمين بالوحدة كشرط ضروري للتخلص من الوجود الصهيوني في أراضي المسلمين . ولم ينس الخميني أن يشير إلى خطورة الخلافات المذهبية والعنصرية فيما بين المسلمين ، وقد أعاد الخلافات بين السنة والشيعة إلى القوى الاستعمارية التي هدفت من وراء ذلك السيطرة على أراضي المسلمين ونهب ثرواتهم . واتهم نفس هذه القوى كذلك بزرع العداء بين العرب وبقية المسلمين ، وقد عبر الخميني عن رفضه لمفاهيم الوطنية والقومية نظراً لأنها كانت في أحضان الشرق والغرب وفرقتا كلمة المسلمين . واتهم القومية العربية بأنها أدخلت إلى المنطقة بواسطة الاستعمار الغربي ، وهي تقليد للغرب ومقطوعة الصلة بالإسلام . وقد اعتبر الخميني انتصار الصهيونية دليلاً على فشل المشروع القومي العربي . وحث الخميني المسلمين على التخلص من انتماءاتهم العنصرية سواء عرباً أو فرساً أو أتراكاً والتوحد تحت راية الإسلام . ^(٢٥) ورغم هذه المطالبة فلم ينس الخميني عندما كان يخاطب جمهوراً عربياً أن يحیی العرب الذين شرفهم الله بأنهم أول قوم أنزل إليهم القرآن .

وقد بلور الدكتور على شريعتي هدف الوحدة الإسلامية كشرط لمواجهة الاستعمار وإعادة نصر بدر الذي حققه الرسول - ﷺ - على قريش عام ٦٢٤ م . كما شبه الاستعمار المعاصر بيزيد الخليفة الأموي الذي حارب الإمام الحسين . وهنا حاول شريعتي الربط بين الأحداث الكبرى في التاريخ الإسلامي والشيعة والصراع ضد الاستعمار المعاصر . كما ربط شريعتي هذا الصراع بمفهوم « الجهاد » و« الشهادة » ^(٢٦) بكل ما لهما من دلالة دينية في التراث الشيعة . وذكر شريعتي أن الوحدة الإسلامية تهدد المصالح الاستعمارية ، وأعطى مثالا لذلك التضامن الإسلامي عند فرض الحظر النفطي على الغرب إبان حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ . ودعا شريعتي الدول الإسلامية للوحدة في كيان واحد يقوم بتحرير الأراضي الإسلامية المحتلة ، خاصة فلسطين . ومثله مثل الخميني ، دعا شريعتي للوحدة فيما بين المذاهب الإسلامية ، خاصة بين السنة والشيعة . ^(٢٧)

وقد بلور الدستور الإيراني فكرة الوحدة عندما أكد أن إيران ستقيم سياستها على

أساس السعى لتحقيق وحدة العالم الإسلامى على الأصعدة السياسية ، والاقتصادية ، والثقافية . (٢٨)

وقد تعهد الخمينى بتصدير الثورة الإسلامية لكافة أنحاء الأرض ، ولكنه أكد فى مرات أخرى أن تصدير الثورة يملئ على إيران الدعاية لمبادئها بين المسلمين عبر العالم ، خاصة مبادئ الأخوة والمساواة . (٢٩) وقد يكون هذا الاعتدال أيضا مرجعه أن كلام الخمينى بعد الثورة كان يؤخذ كموقف رسمى لإيران ، مما كان سيستعدى عليها الدول الأخرى لو أنه تحدث عن تصدير الثورة بالقوة . وقد استخدم الخمينى الحجج كعجال لتنظيم تظاهرات للحجاج فى مكة والمدينة للدعاية لأفكاره حول الثورة والوحدة الإسلامية .

وقد تبنى رفسنجانى التفسير المعتدل لأقوال الخمينى بشأن تصدير الثورة ، عندما ذكر أن تصدير الثورة يعنى أن الحركات الإسلامية الأخرى يجب أن تتخذ من الثورة الإيرانية قدوة ومثالا فى تحركها . (٣٠)

ومن ناحية أخرى طالب الخمينى الدول الإسلامية بقطع العلاقات مع القوى العظمى ، خاصة الولايات المتحدة ، حتى يحققوا استقلالهم . (٣١) وحث الخمينى المسلمين - فى خطاب مباشر للشعوب متخطيا الحكومات كعادته فى معظم الأحيان - بمحاربة القوى الخارجية التى تحاول السيطرة على الدول الإسلامية ، وبقطع العلاقات الدبلوماسية - بل والتجارية - مع هذه القوى الخارجية المعتدية التى تريد استغلال موارد المسلمين . وفى هذا الإطار اعتبر أى عدوان ضد أى بلد مسلم من جانب ما أسماه بقوى الاستكبار العالمى (القوى الكبرى) عدوانا ضد كل المسلمين . (٣٢)

وفى حين أدان الخمينى الدول التى تضع يدها فى يد الولايات المتحدة أو إسرائيل ، (٣٣) فإنه شدد على واجب تحرير المقدسات الإسلامية . وقد تم استخدام هذا المطلب فيما بعد لتبرير الحرب مع العراق داخل الأراضى العراقية من جانب بعض القادة الإيرانيين بحجة أن ذلك يهدف إلى تحرير المناطق المقدسة للشيعىة فى النجف وكربلاء . وقد طالب شريعتى - من جانبه - بمشاركة إيران - عقب انتصار ثورتها - فى كافة معارك الشعوب الإسلامية التى تعاني من الاحتلال الأجنبى . (٣٤)

وفى إطار حث الخمينى المسلمين على التمسك بإحساسهم المعنوى بالكرامة والاستقلال الحضارى ، اعتبر استئدانة الدول الإسلامية من العالم الخارجى إذلالا للمسلمين .

خامسا : القضية الفلسطينية.

وصف آية الله الخميني وجود دولة إسرائيل بأنه جاء نتيجة لتآمر القوى الاستعمارية في الشرق والغرب ، واعتبر الصراع مع إسرائيل عقائديا وحضاريا وليس مجرد صراع سياسى . وحذر من أن الصهيونية تود القضاء على كل الفلسطينيين وتدمير كل الدول الإسلامية .^(٣٥) ومن هنا ربط الخميني وجود إسرائيل بنزعتها التوسعية التى اعتبرها تهديدا لكل البلدان الإسلامية . كما أنه لم يغفل ربط إسرائيل بالقوى الدولية المعادية للإسلام حين نظر إليها كأداة لتنفيذ ما أسماه « بالمخططات الشيطانية » للاستعمار ضد العالم الإسلامى . ومن جانبه اعتبر الدكتور على شريعتى صراع المسلمين الأساسى مع الصهيونية ، واعتبر مهمتهم الأساسية هى تحرير فلسطين . وقد نظر شريعتى إلى الصهيونية كوجه من وجوه العملية الاستعمارية .^(٣٦)

ومن هذا المنطلق طالب الخميني الدول الإسلامية بفرض حظر بترولى على الدول المؤيدة لإسرائيل . ويعتبر هذا الموقف ترديدا بشكل آخر لحث د . على شريعتى - قبل ذلك بسنوات - الدول الإسلامية على تبني مواقف مضادة للقوى التى تؤيد إسرائيل - خاصة الدول الغربية والتى اتهمها شريعتى بأنها تقع تحت سيطرة الرأسمالية اليهودية . وقد طالب الخميني بقطع العلاقات بين إيران (قبل الثورة) وإسرائيل كما طالب بدور مباشر لإيران فى الصراع مع إسرائيل .^(٣٧) واتساقا مع منطقه الدينى ، اعتبر الخميني أن هذا الدور ينبع من التزام تاريخي وعقائدي (إسلامى) . وجاء بعد ذلك بسنوات رفسنجاني ليعتبر القضية الفلسطينية جزءا من شرعية الثورة الإيرانية .

كما حث الخميني على دعم النضال المسلح للفلسطينيين وطالب المسلمين بإتفاق أموال الزكاة لدعم هذا النضال . وطالب إيران وكل المسلمين بتقديم كل مساعدة للفلسطينيين المقاتلين لتحرير القدس وكل فلسطين . وقد اقترنت هذه الدعوة بحديث الخميني والقادة الفكريين للثورة الإيرانية عما أسموه « بأسلمة » الصراع العربى / الإسرائيلى ومطالبة القادة الفلسطينيين بإعلان أن ثورتهم إسلامية وبمواصلة الكفاح المسلح دون الالتفات للمبادرات السياسية . وكان أحد الدوافع لذلك أن الخميني لم يعترف بوجود استمرار دولة إسرائيل ، وبالتالي كان حديثه عن تحرير فلسطين يعنى - من الوجهة النظرية على الأقل - كل فلسطين وليس مجرد الضفة الغربية وقطاع غزة - واعتبر ذلك مسئولية كافة المسلمين .^(٣٨)

خاتمة :

وهكذا يتضح أن مواقف القادة الأيديولوجيين للثورة الإيرانية - خاصة الخميني - كانت تنبع من اعتبارات دينية وعقائدية بشكل أساسي ، ومن اعتبارات سياسية في المقام الثاني . وقد لجأ الخميني - وعلى شريعتي من قبله - إلى استخدام الأحداث الكبرى في التاريخ الإسلامي المبكر وتشبيهها بأحداث وقوى معاصرة ، لتعبئة المسلمين للعمل على بعثها في علاقاتهم بالعالم المعاصر . كما تميز خطاب هؤلاء القادة بالتوجه في أغلب الأحيان لكافة المسلمين ، وليس للإيرانيين فحسب ، وذلك يتسق مع المنطلقات العقائدية لهؤلاء الأباء الأيديولوجيين للثورة الإيرانية .

وفي الممارسة العملية - كما كشفت هذه الدراسة - تدخلت أحيانا اعتبارات المصلحة الوطنية الإيرانية للحد من اعتبارات الأهمية الإسلامية ، خاصة عندما أصبح الخميني مرشدا للثورة بعد نجاحها ، وأصبح ينظر إليه دوليا على أنه القائد السياسي وليس مجرد القائد الروحي لإيران . وقد جاء ذلك نتيجة تناقض تولد بمرور الوقت بين التزامات عقائدية ثورية معلنه في السياسة الخارجية لإيران وبين سلوكها الفعلي ، وقد حدث ذلك لاعتبارات عديدة ، منها الصراعات داخل صفوف السلطة الحاكمة ، والحاجة لمواجهة مصاعب اقتصادية متزايدة ولتجنب عزلتين دولية وإقليمية ، وكذلك الحاجة لدعم عسكري وقت الحرب . ورغم ذلك كله ، استمرت الأفكار الأيديولوجية تمثل نوعا من الإطار العام الذي يحد أحيانا من مدى الواقعية والبراجماتية اللتين قد تتمتع بهما القيادات السياسية .

الهوامش

Adeed Dawisha, " Islam in Foreign Policy " , in Islam In Foreign Policy Cambridge (١)
: The Royal Institute of International Affairs and Cambridge University Press,
1985), p.3

انظر أيضا :

Barbara G. Salmore and Stephen A. Salmore, " Political Regimes and Foreign
Policy " in Maurice A. East, Stephen A. Salmore and Charles F. Her-
mann, eds., **Why Nations Act ?** (Beverly Hills and London : Sage Publications,
1978), pp. 112 - 113.

Rajae Farhang, **Islamic Values and World View** (Lanham, New York and Lon- (٢)
don : University Press of America) , p. 89

(٣) على المشكوري . سياسة لاشرقية ولاغربية ، (طهران : وزارة الإرشاد الإسلامي ، ١٤٠٢ هـ) ، ص ٢١ .
(٤) دستور جمهورية إيران الإسلامية . (قم : مؤسسة الشهيد ، ١٩٧٥) ، ص ٥٨ .
(٥) « العالم المستكبر والمفاهيم المغلوطة » . مجلة رسالة الثورة الإسلامية (إيرانية) ، رمضان ١٤٠٣ هـ
ص ٤٢ .

Rajae, op.cit., pp. 75 - 76, 79, 86 (٦)

(٧) « العالم المستكبر والمفاهيم المغلوطة » ، مرجع سبق ذكره ، ص ٤٣ .

W.G. Millard , " The Principles of Foreign Policy and the Vision of the World Ex- (٨)
pounded by Iman Khomeini " , in **The Iranian Revolution and Islamic Republic**,
edited by Nikki R. Keddie and Eric Hoogland (USA : The
Middle East Institute and Woodrow Wilson International Center for Scholars,
1982), pp. 192 - 93, 196.

انظر أيضا :

Shaoul Badkhash, **The Reign of the Ayatollahs** (London : I.B. Tauris and Co. Ltd
, 1985) , p. 98.

انظر أيضا :

R.K. Ramazani, " Khomeini's Islam in Iran's Foreign Policy " In **Islam in Foreign
Policy** , op.cit., p. 16.

(٩) على المشكوري ، مرجع سبق ذكره ص ١٥ .

Rajae, op.cit., pp. 79 - 81. (١٠)

Ali Shari'ati, **Hajj**, translated by Ali Behzadia and Najla Denny, 2nd ed. (Houston : (١١)
Free Islamic Literature, 1978), p. 133.

انظر أيضا :

Suroosh Irfani , **Revolutionary Islam In Iran** (London : Zed Press, 1983), p. 134

(١٢) الدستور الإيراني ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٠ ، ٢١ ، ٥٩

(١٣) على المشكوري ، مرجع سبق ذكره ، ص ٢٢ .

(١٤) الدستور الإيراني ، مرجع سبق ذكره ص ٢٠

(١٥) على شريعتي « الاعتماد على الدين » في كتاب : هكذا تحدث على شريعتي ، ترجمة وجمع وتقديم فاضل رسول . ط ٢ . (بيروت : دار الكلمة ١٩٨٣) ص ٨٠ - ٨١ س ٢١٣ .

انظر أيضا :

Ali Shari 'ati, Hajj, op.cit., pp. 122, 138, 139 - 140.

انظر أيضا :

Irfani, op.cit., p. 118

Iman Khomeini, **Islam and Revolution**, translated by Hamid Algar (Berkeley : (١٦)

Mizan Press, 1981), pp. 181 - 189.

Ramazani, op.cit., p. 10 (١٧)

انظر أيضا :

Dillp Hero, **Iran Under the Ayatollahs** (London : Routledge and kegan Paul, 1985), p. 133.

Islam and Revolution, op.cit., pp., 170, 272 (١٨)

Fred Halliday, " Iran's Revolution Turns Sour", **Marxism Today**, December 1983,(١٩) pp. 34, 36.

Kambiz Afrachteh, " Iran ", in **Politics of Islamic Reassertion**, edited by Mo-(٢٠) hamed Ayoob (London : Groomhelm Ltd, 1981), p. 109.

Bakhash, op.cit., p. 10. انظر أيضا :

Hallidy, op.cit., pp. 32, 35. (٢١)

Bakhash, op.cit., pp. 237 - 23. انظر أيضا :

Hiro, op.cit., p. 205. (٢٢)

Ramazani, op.cit., pp. 14, 28. انظر أيضا :

Islam and Revolution, op.cit., pp. 265, 286 -287. (٢٣)

Rajaei, op.cit., p. 83. انظر أيضا :

Ramazani, op.cit., p. 19. انظر أيضا :

(٢٤) آية الله الحميني . الحكومة الإسلامية ترجمة وتقديم د . حسن حنفي (القاهرة ١٩٧٩م) ص ٤٨ - ٤٩ .

W.G. Millard, op.cit., p. 192. (٢٥)

Irfani, op.cit., p. 132. (٢٦)

Shari'atl, Hajj, op.cit., p. 119. انظر أيضا :

(٢٧) فاضل رسول ، مرجع سبق ذكره ص ٤٦ - ٤٧ .

(٢٨) الدستور الإيراني ، مصدر سبق ذكره ص ٢٣ .

" Iran and the World : General Discussion " , in The Iranian Revolution and the Islamic Republic, op. cit., p. 209.

انظر أيضا : Rajaee, op. cit., p. 83.

انظر أيضا : Ramazani, op.cit., p. 19.

(٣٠) جريدة كيهان العربى الإيرانية ، عدد ١١ ذى القعدة ١٤٠٥ هـ ، ص ٣ .

(٣١) على المشكورى ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٤ .

(٣٢) «أيها الاستكبار : لاخوف ، ولاسمع ، ولاطاعة » ، مجلة الشهيد (الإيرانية) .

رمضان ١٤٠٥ هـ ، ص ٧ .

(٣٣) خطاب لآية الله الخمينى : تحرير فلسطين واجب الجميع ، ورد فى مجلة الشهيد (الإيرانية) عدد رمضان ١٤٠٥ هـ

Ervand Abrahamian, " Ali Shari'ati : The Ideologue of the Iranian Revolution", (٣٤) MERIP Reports, January 1982, p. 25.

(٣٥) على المشكورى ، مرجع سبق ذكره ، ص ١٣

انظر أيضا : Rajaee, op.cit., p. 87.

Abrahamian, op.cit., p. 25. (٣٦)

Bakhash, op.cit., p. 63. (٣٧)

(٣٨) « هلا نخطو نحو التحرير » . مجلة الشهيد (الإيرانية) ، رمضان ١٤٠٥ هـ

انظر أيضا : على المشكورى . مرجع سبق ذكره . ص ١٣ .

الفصل الرابع

إيران وجماعات العنف السياسي في العالم الإسلامي

نرى في كافة الثورات البارزة في التاريخ الإنساني أن كل ثورة احتوت على اتجاهين فيما يخص نشر أفكارها خارج الحدود ، وهما :

١ - اتجاه بناء الدولة النموذج Model - State من خلال محاولة الوصول ببناء الدولة إلى مرحلة الكمال من وجهة نظر أيديولوجية الثورة بما يجذب تأييد شعوب أو قوى محيطة تكون مشاركة في خصائص معينة مع شعب الدولة الذي قامت فيه الثورة .

٢ - اتجاه تصدير الثورة وهو ينأصر فكرة دور خارجي فعال للنظام الثوري في مساندة قوى تتبنى نفس أفكاره . وإحدى حجج هذا الاتجاه هي أن أفضل وسائل الدفاع هي الهجوم ، فعندئذ يعتبر الدور الخارجي الفعال والمتدخل في شئون دول أخرى إجراء وقائياً يخدم كمقدمة لاحتواء أى هجوم على الثورة من القوى الإقليمية والدولية التي تعتبرها هذه الثورة معادية لها . والحالة الإيرانية ليست استثناء من هذه القاعدة ، بل إن كون الثورة الإيرانية رفعت شعارات إسلامية أعطت مبرراً إضافياً لأنصار الاتجاه الثاني .

وقد تميزت الثورة الإيرانية منذ انتصارها في فبراير عام ١٩٧٩ بإعطاء صورة داخلية وخارجية تعكس مساراً داخلياً ودوراً خارجياً شبيهاً بما ميز الحركتين الوهابية في القرن الثامن عشر ، والمهدية في القرن التاسع عشر . وقد اعتبرت إيران تصدير الثورة ومساندة حركات المعارضة الراديكالية - خاصة ذات التوجه الإسلامي وبالذات الشيعية منها - في الدول المجاورة أسلوباً لهذا الهجوم الوقائي مستغلة البريق الأيديولوجي للثورة في سنواتها الأولى ، كما هدفت من وراء ذلك إلى استخدام العامل الإسلامي الثوري كعامل توحيدى إقليمى في مواجهة العامل القومى العربى . فالوضع الأمثل لريادة إيران - إن لم نقل زعامتها - على المستوى الإقليمى هو نظام إقليمى إسلامى وليس قومياً عربياً . وبالتالي ، توظف إيران دعمها للحركات الإسلامية خارج حدودها - حتى ولو كان معنوياً وإعلامياً فقط - في علاقاتها مع الأطراف الإقليمية والدولية بما يخدم أهداف ومصالح سياستها الخارجية ، ويلهى الحكومات المعادية لها عن محاولة التدخل في

شئون إيران الداخلية ، واكتفائها بالحد من دور الجماعات الإسلامية لديها ، وبما يحفظ الزخم الثوري في الداخل الإيراني .

ومنذ بداية انتصار الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ ، طالب التيار الداعي لتصدير الثورة باعتبار تصدير الثورة إحدى سبل حمايتها في الداخل ، وبعدم الاكتفاء بالدعاية الخارجية للنموذج الإيراني بل بتقديم مساعدات ودعم لقوى سياسية خارج إيران ، وخاصة القوى الراديكالية المعادية للنظم القائمة في العالم الإسلامي لإنشاء حكومات على النمط الإيراني . كما أن اعتبار الخميني للولايات المتحدة بأنها العدو الأول لإيران دفع الجمهورية الإسلامية الوليدة هناك منذ البداية لدعم جماعات عنف سياسي بالشرق الأوسط وتوجيهها بشكل خاص ضد المصالح الأمريكية لكسب نقاط في المواجهة مع الولايات المتحدة ، وتجد ذلك خاصة إبان أزمة الرهائن الأمريكيين في طهران .

وقد طالب الخميني منذ البداية بتكرار ثورة إيران في البلدان الإسلامية الأخرى ، كخطوة أولى نحو التوحيد مع إيران في دولة واحدة يكون مركزها إيران في المواجهة مع من أسماهم بأعداء الإسلام في الشرق والغرب . والتزم بتدمير من أسماهم بالأنظمة الفاسدة التي تقمع المسلمين واستبدالها بما اعتبره حكومات إسلامية . كما ربط بين تصدير الثورة وبين مواجهة الإمبريالية وتحرير فلسطين . ورأى للثورة الإيرانية دورا عالميا مساندة المحرومين عبر العالم . واعتبر صراحة أن الدولة الإسلامية في إيران ستمثل قائدا للمستضعفين في الأرض وأكد ضرورة تصدير الثورة لكل مكان ، لأن الإسلام يدافع عن الشعوب المستضعفة ولا يعترف بالحدود بين البلدان الإسلامية . وتعهد الخميني بتصدير الثورة الإيرانية إلى كافة أرجاء الأرض ، بل وعد ذلك ضمن واجبات الثورة الإيرانية . وأضاف الخميني على رؤيته قدرا من الواقعية عندما ذكر أن عدم تصدير إيران لثورتها سيضعفها أمام أعدائها . إلا أن الخميني تحدث أحيانا عن تصدير الثورة الإيرانية من خلال المثال ، وتعهد بعدم مهاجمة الدول الأخرى ، بل بالدعوة والدعاية للثورة في الخارج عبر استخدام وسائل الإعلام وغيرها ، بينما في مواضع أخرى حرض الشعوب والتنظيمات السياسية الإسلامية على إسقاط حكوماتها التي اعتبرها ضالعة في تنفيذ مآسياه بمؤمرات الاستكبار العالمي . وفي بيان لاحق وجهه للطلاب الإيرانيين بالخارج ، أعرب الخميني عن الأمل في انتشار ثورة إيران الإسلامية للعالم أجمع حتى تتشكل حكومة عالمية تحت زعامة الإمام المهدي الثاني عشر.

ومنذ الأيام الأولى لنجاح ثورة إيران في فبراير عام ١٩٧٩ ، اعتبر آية الله طلقاني - أحد قادة الثورة - أن الثورة الإيرانية قد أيقظت العالم الإسلامي في مواجهة الاستعمار والإذلال واعتبر كل ثورة تقوم في أى بقعة من العالم الإسلامي ضد الاستبداد والإمبريالية هي ثورة للمقهورين ، وبما أن الإسلام دعا إلى نصرته المستضعفين في الأرض فهذا واجب الثورة الإيرانية لأنها الثورة الأم للمستضعفين ليس فقط في العالم الإسلامي ، وإنما في العالم أجمع .

وقد اتفقت معظم الأدبيات الثورية الإيرانية منذ عام ١٩٧٩ على تصنيف حكام معظم البلدان الإسلامية - مثلهم مثل دول الغرب - بأنهم يمارسون « الاستكبار » ضد شعوبهم ، وحثت هذه الشعوب على التخلص من حكوماتها التي تخدم - حسب الرؤية الإيرانية - مصالح أعداء الإسلام . وركزت هذه الأدبيات على إبراز النموذج الإيراني بوصفه النموذج الثوري الإسلامي الوحيد ، وبالتالي فهو ملزم بمساندة الحركات الإسلامية الراديكالية في بقية أنحاء العالم الإسلامي ، مما يجعل تصدير الثورة واجبا دينيا وليس مجرد هدف سياسى يتمثل في جعل علاقات إيران الخارجية مع الشعوب وليس مع الدول ، ويتطلب من إيران تقديم مساعدات مالية وعسكرية بالإضافة إلى التدريب العسكرى والتلقين العقائدى لهذه الحركات ، وعدم الاكتفاء بالدعاية الخارجية للثورة . ولم يتوان مجلس الدفاع الأعلى في إيران في الدعوة إلى ثورة إسلامية عالمية تشكل جبهة إسلامية متحدة ضد إسرائيل والولايات المتحدة وحلفائهما في المنطقة ، ويكون قوامها الحركات الإسلامية المعارضة خاصة في العراق والسعودية ودول الخليج الأخرى .

وقد انعكست هذه الآراء في الدستور الإيراني . فقد حددت ديباجة الدستور الإيراني - ضمن أهداف الجمهورية الإسلامية - السعى مع الحركات الإسلامية والجمهورية الأخرى لبناء الأمة العالمية ، وإنقاذ المحرومين في كل مكان على الأرض . كما أن الدستور أعطى الحرس الثوري والجيش في الجمهورية الإسلامية مهمة النضال من أجل توسيع حاكمية قانون الله في كافة أرجاء العالم . كما أكدت المادة الثالثة من الدستور الدعم المطلق لمستضعفى العالم كهدف من أهداف الجمهورية الإسلامية . وأشارت المادة ١٥٤ إلى التزام إيران العمل على إقامة حكومة الحق والعدل في أرجاء الأرض ، وحماية الكفاح الشرعى للمستضعفين ضد المستكبرين في أى مكان في العالم . بل إن الدستور الإيراني حدد من مهام الحرس الثوري نشر حاكمية الله في الأرض ، وبناء مجتمع عالمى موحد يقوم على النضال لتحرير المستضعفين في الأرض ، كما وضع

ضمن أهداف السياسة الخارجية الإيرانية دعم المستضعفين في الأرض وجهادهم المشروع . ولكن - وليعكس تباين وجهات النظر وتفاوتها داخل القيادة الإيرانية - أشار الدستور في مواقع أخرى إلى عدم تدخل إيران الثورة في الشؤون الداخلية للدول الأخرى .

وقد جسد الحزب الجمهوري الإسلامي - الذي سيطر على الحكم في إيران منذ إقصاء الدكتور أبو الحسن بنى صدر عن رئاسة الجمهورية في يونيو ١٩٨١ حتى حل الحزب عقب نهاية الحرب مع العراق - نظرية تصدير الثورة . بل إن البعض اعتبر الخلاف بين الحزب وبين الدكتور أبو الحسن بنى صدر أول رئيس لجمهورية إيران هو - في أحد أبعاده - خلاف بين المفهوم الوطني للإسلام وحركة الإسلام العالمية . فاعتبر الحزب نفسه - في برنامجه الأساسي - حزب المسلمين في كافة أنحاء العالم وليس في إيران وحدها ، وذكر برنامجه أن عالمية الثورة الإسلامية ومبدأ تصدير الثورة وجهان لعملة واحدة ، وبالتالي حدد مهمة إيران الثورة في إنقاذ المسلمين والبشرية بأكملها . وقد برر الدكتور حسن آيات - أحد منظري الحزب - تدخل الثورة الإيرانية في شؤون الدول الإسلامية الأخرى بأن على إيران نصرته المستضعفين في كل مكان حتى يتم ضمان استمرارية الثورة واتساع دائرة إشعاعها . وخلال مرحلة سيطرة الحزب على الحكم في إيران تبلور الصراع بين المكتبيين (الملتزمين عقائدياً) وبين جماعة الحجّية الأكثر براجماتية وقرباً من الغرب ، خاصة حول دعم المكتبيين لتصدير الثورة خارج إيران . كما اعتبر الحزب النظم الملكية مناقضة لمنطق الثورة الإسلامية ، وبالتالي يجب إسقاطها كنظم غير عادلة .

وهناك بعض الآراء التي ترى أنه رغم أن إيران لم تخلق المد الإسلامي ، فإنها تساعد هذه الموجة وتوظفها - في عدة دول - لخدمة مصالحها دولياً وإقليمياً ، وتدفع الحركات الإسلامية الراديكالية هناك للتضحية مستخدمة مفاهيم « الشهادة » و « لقاء الله » و « نصرته الإسلام » وغيرها من الرموز الدينية . وقد استخدمت إيران المؤتمرات العالمية لأئمة الجمعة وأسابيع الوحدة الإسلامية ، والاحتفالات السنوية بيوم القدس ومؤسسى الشهيد والمستضعفين ، ومنظمة العلماء المجاهدين ، كآليات لتعبئة رجال دين وكتاب ومفكرين وقياديين إسلاميين من كافة أنحاء العالم الإسلامي ، لتلقيهم عقائدياً والتأثير عليهم فكرياً ، بما يتفق مع أفكار الثورة الإيرانية ومصالح الجمهورية الإسلامية . كما وظفت الثورة الإيرانية للجنة الدائمة للحج ، ومكتب الدعوة

الإسلامية كمؤسستين حكوميتين لتصدير فكر الثورة الإيرانية وتوسيع تأثيرها الخارجى . وقد جاءت تصريحات لعدة مسئولين إيرانيين لتؤكد أن إيران لن تأمن من مؤامرات الدول الكبرى إلا إذا حدثت ثورات مماثلة فى العالم الإسلامى ووعدت بمساعدة كل حركات التحرير والحركات الإسلامية الراديكالية فى أى مكان فى العالم .

ورغم أن إيران أعلنت فى عدة مناسبات أنها لن تتدخل فى الشؤون الداخلية للدول الأخرى ، وأن وزارة الخارجية الإيرانية هى الجهة المعنية بممارسة السياسة الخارجية مع الدول الأخرى ، إلا أن هناك منظمات ثورية إسلامية رسمية أو شبه رسمية أو - حتى - غير رسمية فى إيران تزاوّل اتصالات مع تنظيمات إسلامية معارضة فى بلدان إسلامية أخرى مما سبب فى مراحل عدة توقرا فى العلاقات مع هذه الدول .

وعلى مستوى القيادات الإيرانية الأخرى ، فإن رئيس الوزراء الإيرانى السابق مير حسين موسى كان يعتبر هدف السياسة الخارجية الإيرانية تحرير الإنسانية ، وليس فقط العالم الإسلامى ، إلا أنه عاد ليعلن أن إيران لا تنوى التدخل فى الشؤون الداخلية للدول الأخرى . إلا أن قيادات أخرى مثل وزير الداخلية السابق على أكبر محتشمى ، ورئيس البرلمان السابق مهدى كروبي ، ونائب رئيس البرلمان الإيرانى السابق حجة الإسلام خويئنها ، أشاروا إلى تصدير الثورة خاصة إلى ما أسموه بالدول العميلة للشرق والغرب ، خاصة الولايات المتحدة .

ومنذ البداية ، منذ أن كان رئيسا للبرلمان الإيرانى عقب عام ١٩٨١ ، ركز رفسنجانى على اعتبار الثورة الإسلامية قدوة ومثالا دون الإشارة إلى التدخل الخارجى ، وعبرت الصحافة الموالية له عن هذه المواقف . وقد ذكر رفسنجانى عام ١٩٨٩ عندما كان رئيسا للبرلمان أنه يرفض التضحية بما تحقق على مستوى بناء المؤسسات داخل الجمهورية الإسلامية ، أو إعاقه استكمال تنفيذ أهداف الثورة داخليا مقابل تصدير الثورة خارجيا . وجاء التخلص من مير حسين موسى بإلغاء منصب رئيس الوزراء عقب انتخاب رفسنجانى رئيسا للجمهورية وتعديل الدستور ليعكس إقصاء أحد دعاة تيار تصدير الثورة الإيرانية ، وكان قد سبق هذه الخطوة إقصاء مهدى هاشمى - صهر آية الله منتظرى المرشح السابق لخلافة الخميني وأحد دعاة تصدير الثورة - مسئول مكتب دعم حركات التحرير فى العالم عام ١٩٨٦ ، بعد أن قام بتسريب أبناء فضيحة إيران جيت ألح إلى دور رفسنجانى فيها . وجاء إقصاؤه متزامنا مع وقف الدور الخارجى للمكتب ثم تم إعدام هاشمى فى صيف ١٩٨٧ . كما كررت إيران بكثرة منذ

عام ١٩٨٥ إدانة عمليات تخريب وخطف طائرات ، كما ساهمت في الإفراج عن ركاب طائرات مختطفة . وعقب تولي رفسنجاني رئاسة الجمهورية عام ١٩٨٩ قام بإقصاء على أكبر محتشمي - أحد دعاة تصدير الثورة - من وزارة الداخلية .

وعقب تولي رفسنجاني رئاسة الجمهورية أيضا ، عبر عن رفض فرض الثورة على المسلمين خارج إيران ، بينما طالب الحركات الإسلامية خارج إيران باتخاذ الثورة الإيرانية قدوة ومثالا لها ، وبالسعى لإيصال صوت الثورة إلى الناس . وأضاف أن إيران ستصدر أفكارها في إطار القوانين الدولية . كما تحدث المرشد الجديد للثورة سيد علي خامنئي عن الدعاية لفكر الثورة الإيرانية في الخارج بين صفوف المستضعفين . وتزامن ذلك مع هزيمة الراديكاليين في انتخابات المجلس (البرلمان) في ابريل عام ١٩٩٢ وفي طليعتهم الراحل أحمد الخميني ، ومهدي كروبي ، وأرملة الرئيس الإيراني الراحل محمد علي رجائي ، وحجة الإسلام خوئنها ، وعلى أكبر محتشمي وآية الله صادق خلخلي رئيس المحاكم الثورية الإسلامية سابقا ، بالإضافة إلى قرار دمج وزارتي الدفاع والحرس الثوري في وزارة واحدة للقوات المسلحة في أغسطس عام ١٩٨٩ مما عنى في الواقع إنهاء أى دور خارجي مستقل للحرس الثوري . وسبق ذلك قبول الخميني استقالة خليفته المعين آية الله المنتظري في ٢٨ مارس ١٩٨٩ ، وكان المنتظري يجسد دور راعي دعاة تصدير الثورة ، وكان يميل إلى دور إيراني فعال ونشط في تصدير الثورة ، ودعم الحركات الإسلامية الراديكالية في البلدان الإسلامية الأخرى .

والواقع أن التحول نحو البراجماتية داخليا وخارجيا قد ارتبط بانتهاء الحرب مع العراق والإحساس بالاختناق الاقتصادي وبالحاجة للانفتاح على العالم ، خاصة اجتذاب استثمارات الغرب وتكنولوجيته لإعادة تعمير إيران مما تطلب اعتدالا في السياسة الخارجية .

ورغم خسارة الراديكاليين في انتخابات إبريل عام ١٩٩٢ البرلمانية وحصول المعتدلين على غالبية المقاعد ، والتنبؤ بأن ذلك سيؤدي إلى خفوت اتجاهات دعم المد الإسلامي المتطرف في المنطقة ، واتهام مرشد الثورة خامنئي للغرب بتهيج دول عربية ضد إيران ، واتهامها بدعم الجماعات الراديكالية الإسلامية ، فإن خامنئي ذكر في إحدى خطب الجمعة أن إيران هي محور الثورة والوحدة الإسلامية ، وهي وحدها الدولة الإسلامية الحقيقية . ودعا عضو مجلس الأوصياء آية الله أمامي كاشاني إلى الدعاية للإسلام لمواجهة أعدائه ونشر رسالته دون استخدام العنف . كما أن طهران

وقد أفاد تأثير إيران على الجماعات الإسلامية الراديكالية مصالحها من حيث اضطراب دول أخرى للتعامل مع إيران والرهبة من تأثيرها مما جعل علاقاتها بهذه الجماعات عنصر ضغط على حكومات دولها . ولكن هذا لم يحدث في كل الحالات ، بل أدى في بعض الحالات إلى توتر علاقاتها مع هذه الحكومات . كما أنه إذا كان تصدير الثورة الإسلامية أحد أهداف السياسة الخارجية الإيرانية ، فإن هناك أهدافاً أخرى مثل حماية أمن إيران ومصالحها الاقتصادية ، وهذا ما يمنح سياسة إيران الخارجية أحياناً أشكالاً متناقضة ، أو غير متسقة فيما بينها . كما يبدو تصدير الثورة أحياناً كأداة - وليس هدفاً - للسياسة الخارجية الإيرانية . كذلك فإن توفر الموارد المالية يعتبر هاما وأساسيا للممارسة إيران دوراً تدخليا في شئون الدول الأخرى .

وعلى أرض الواقع ، فإن إيران واجهت في السنوات الأخيرة صعوبة الموازنة بين الرسالة الأيديولوجية ، وبين مصالحها واحتياجاتها الوطنية ، كما أثبتت أن شعاراتها في السياسة الخارجية أكثر راديكالية من مواقفها العملية وسلوكها ، وإن ارتفع شعار أن تبني نموذج النظام الإسلامي في بلد واحد قد يضعف الثورة الإيرانية وتأثيرها على القوى الإسلامية بالخارج . وتبقى المعادلة الصعبة التي يصعب التخلي عن أحد طرفيها : تحسين علاقات الحكم الإيراني بالدول الإسلامية الأخرى ، واتصالاته بالتيارات الإسلامية الراديكالية المعادية للنظم القائمة بهذه الدول . ومن غير المستبعد في العلاقات الدولية أن نجد تناقضاً يتولد بمرور الوقت بين التزامات عقائدية ثورية معلنة في السياسة الخارجية لدولة وبين سلوكها الفعلي ، سواء جاء ذلك نتيجة صراع داخل صفوف السلطة الحاكمة ، أو لتجنب مصاعب داخلية ، أو اقتصادية ، أو عزلة دولية وإقليمية . وبالتالي فإن التراجع عن دعم جماعات العنف السياسي في المنطقة يرتبط بتراجع النخبة الحاكمة في إيران عن هذه السياسة في حالة ما إذا تزايدت المعارضة بين صفوف القوى السياسية الفاعلة داخليا والرأي العام الإيراني ضد هذه السياسات ، وبالصراع بين المعتدلين والراديكاليين ، وبين الاعتبارات العقائدية واعتبارات الاستقرار السياسي . إلا أن وجود الثورة في إيران على رأس السلطة في حد ذاته يشكل قوة دفع وتشجيع للتنظيمات الراديكالية الإسلامية بما فيها تلك الداعية إلى العنف ، وقلب أنظمة الحكم في البلدان الإسلامية الأخرى .

ورغم دعوة الرئيس الأمريكي السابق بوش في ١٠ مارس عام ١٩٩١ إيران لتلعب دوراً رئيسياً لضمان أمن الخليج ، ودعوته دول الخليج بعدم اعتبار إيران عدوا لهم ، فإن

الخارجية الأمريكية عادت بعد عامين ، وتحديدًا في ٦ مارس عام ١٩٩٣ ، لتتهم إيران بأنه أكبر مؤيد للإرهاب في العالم ، بينما نفت إيران ضلوعها في الإرهاب ، واتهمت الولايات المتحدة بتأييد « رأس الإرهاب في العالم : إسرائيل » . واستمرت الولايات الأمريكية - سواء الإدارة أو الكونجرس في توجيه نفس تلك الاتهامات لإيران حتى الآن ، وبشكل متصاعد .

ويجدر بنا أن نتعرض هنا إلى قطاع معين له الأولوية في عقيدة السياسة الخارجية الإيرانية ، وهو التنظيمات السياسية الشيعية في العراق ومنطقة الخليج . فمنذ بدايات الثورة ، عمدت إيران إلى تحريك التنظيمات الشيعية في دول الخليج بما يدعم استقرار الحكم في طهران وممارسة الضغوط - من خلالها - على حكومات تلك البلدان للتعامل مع الحكم الإيراني وإدراجه في أي ترتيبات للأمن والتعاون في الخليج . وتؤكد إيران قيادة الصيغة الفكرية للنموذج الإيراني والصلة التنظيمية بين المؤسسة الدينية الشيعية الإيرانية وبين رجال الدين والقادة الشيعة الذين يقودون هذه القوى ، خاصة أن بعضهم كان من أصل إيراني . وأدى تبنى الدستور الإيراني للمذهب الجعفري الاثنى عشرى كمذهب رسمي لإيران إلى دعم هذه الصلات ، وإن أدى إلى نفور الكثير من تنظيمات المسلمين السنة الراديكاليين من النموذج الثوري الإيراني . والواقع أن الطبيعة الشيعية للثورة الإيرانية حدت كثيرًا من تأثيرها على جماعات سنية راديكالية عبر العالم الإسلامي . وتجسد ذلك في إلقاء أحزاب إسلامية سنية باكستانية تبعة المصادمات الدموية بين السنة والشيعة في باكستان عام ١٩٨٧ على التحريض الإيراني للزعيم الباكستاني الشيعي عارف الحسيني وحزبه . كما انعكس أيضًا في أنه خلال تظاهرات الحجاج الإيرانيين خلال بعض مواسم الحج ، لم ينضم لهم إلا شيعة باكستانيون وأفغان . يضاف إلى ذلك أن اختلاف اللغة وكون الفارسية هي لغة الكتابة لمعظم كتابات منظري الفكر الثوري الإيراني أعطيا إحساسًا بالغربة لدى العديد من قواعد وكوادر التنظيمات الإسلامية الراديكالية في الدول العربية ودول أخرى ، بالإضافة إلى تبنى القيادة الإيرانية شعارات شيعية - أصلاً بهدف تعبئة الداخل الإيراني لدعم الثورة ، خاصة خلال سنوات الحرب مع العراق - مما ساهم في إبعادها عن الحركات السنية الراديكالية - خاصة في دول الخليج والعراق التي يوجد بها أعداد كبيرة من الشيعة .

والواقع أنه طبقاً لأولويات السياسة الخارجية الإيرانية ، فإن دور الشيعة في إطار عموم الحركة الإسلامية مماثل لدور الطليعة . وعندما تقدم إيران بالمقابل فكرها لحركات إسلامية سنية راديكالية فإنها تقدم مبادئ عامة تدعى الثورة الإيرانية أنها تمثلها ، مثل

عدم الانحياز الحقيقي ، ودعم « المستضعفين في الأرض » حتى تستطيع كسب قوى اجتماعية ذات تنشئة دينية قد تجذبها هذه المبادئ في الدول الإسلامية ذات الأغلبية السنية . وتقدم الثورة الإيرانية نفسها لهذه القوى على أنها الثورة النموذج دون تأكيد الصلة التنظيمية بتلك القوى .

وستعرض فيما يلي إلى مواقف إيران وعلاقتها مع التنظيمات الإسلامية الراديكالية في مختلف أقاليم ودول العالم :

أولاً : الخليج والعراق وشبه الجزيرة العربية:

منذ انتصار الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ ، عمدت إيران للتعبئة الإعلامية لشيعة دول الخليج للتمرد على أوضاعهم ، خاصة أن الشيعة شكلوا ٧٥٪ من سكان البحرين ، و٣٠-٤٠٪ من سكان الكويت ، و٣٠٪ من سكان الإمارات وسكان المنطقة الشرقية بالسعودية . وقدمت إيران تأييداً معنوياً وإعلامياً لتظاهرات الشيعة بالسعودية في إقليم الأحساء عامي ١٩٧٩ و ١٩٨٠ ، واتهم الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية السعودي الإيرانيين بأنهم إرهابيو الخليج . كما تفجر العنف بين الحجاج الإيرانيين والموالين للخميني من جهة ، ورجال الدين السعوديين وأنصارهم من جهة أخرى ، مما أدى إلى مصرع عشرات الحجاج في موسم الحج عام ١٩٨٧ . وواصلت إيران دعم منظمة الثورة الإسلامية في شبه الجزيرة العربية المعارضة للحكم السعودي ، والتي تبنت عمليات تفجير في مكة في موسم الحج لعام ١٩٨٩ ، وألقت السعودية تبعيتها بشكل ضمنى على إيران عند وقوعها ، ومارست هجوماً إعلامياً على إيران . ورغم أن عملية اقتحام الحرم المكي عام ١٤٠٠ هـ ينظر إليها كتجاوب مع الثورة من جانب الشيعة وقوى سنية ساخطة ضد الحكم السعودي ، فإنه لم تثبت أى صلة تنظيمية لإيران بها ، رغم تأييد الخميني لحادث اقتحام الكعبة .

وقد استضافت إيران حركات معارضة سعودية ، وعراقية وبحرينية ، ونظمت مؤتمرات سنوية لهم ، ووزعت نشرات عليهم ووجهت أجهزة الإعلام إليهم ، وحضت على التظاهرات لترويج العداء للملكية كمؤسسة ، واستغلت دور رجال الدين الشيعة في المنطقة بما يمنحها أوقافاً إضافية في التعامل مع الأطراف الدولية والإقليمية الأخرى .

وقد ابتعدت إيران في الأعوام الأخيرة عن العمل لاستغلال فرصة الحج لنشر الأفكار

الثورية الإسلامية الإيرانية ، والدعوة لها بين بقية المسلمين الحجاج ، أو لإيجاد صلات مع قوى راديكالية داخل السعودية . وفي إطار محاولة تحسين علاقات إيران مع أنظمة الحكم في دول الخليج أبلغت إيران عام ١٩٨٤ حركات التحرير لدول الخليج الأخرى الموجودة في إيران بعدم السماح بأنشطة موجهة ضد دول أخرى سوى على المستوى الإعلامي فقط . وعمدت عامي ١٩٨٤ و ١٩٨٥ إلى محاكمة متهمين باختطاف طائرة سعودية ، ورفضت هبوط طائرة كويتية مختطفة بأراضيها ، رغم طرد الكويت في مارس عام ١٩٨٣ لرجل دين شيعي من أراضيها بتهمة تأييد الثورة الإسلامية ، واتهام إيران بالمسؤولية عن تفجيرات عام ١٩٨٣ ضد منشآت أمريكية وكويتية ، واتهامها بتدبير محاولة اغتيال أمير الكويت في مايو ١٩٨٥ واعتقال ابن ممثل الخميني في الكويت بتهمة دعم المعارضة الداخلية . ورغم نفي إيران اتهامات الكويت هذه إلا أن آية الله المنتظري اعتبر هذه الأعمال إسلامية . كما جاء موقف إيراني تجاه الغزو العراقي للكويت عام ١٩٩٠ ثم فوز الإسلاميين بعدد من المقاعد في الانتخابات البرلمانية الأخيرة في الكويت ليقول من لجوء الإسلاميين هناك للعمل السري أو العنف . كما أن نشاط الشيعة من أصل إيراني في البحرين والكويت استعدى الجماعات الإسلامية السنية هناك أحيانا على إيران .

وقد اتهم رئيس وزراء البحرين إيران بتدريب مئات من شباب الخليج في معسكرات بإيران للقيام بأعمال تخريبية ، وجاء ذلك عقب محاولة الانقلاب الفاشلة بالبحرين عام ١٩٨١ وتبنى إيران لأنشطة الجبهة الإسلامية البحرينية . وقد أدان مجلس التعاون الخليجي محاولة الانقلاب هذه في إطار إدانة التدخل الإيراني في شئون دول المجلس . وقد قصرت إيران في مرحلة لاحقة نشاط الجبهة الإسلامية لتحرير البحرين على المشاركة في المؤتمرات الإسلامية التي تنظمها إيران . كذلك تجددت الاتهامات البحرينية لإيران في يونيو ١٩٩٦ بتدريب وتوجيه الجناح العسكري لتنظيم لم يعرف في البحرية من قبل باسم « حزب الله » ، وذلك في مدينة قم الإيرانية بهدف قلب نظام الحكم في البحرين وإقامة نظام موالي لإيران ، وهو تطور أدى لسحب البحرين سفيرها من طهران وإعلانها اعتقال ١٣ بحرينيا ضالعين في التنظيم السري .

أما بشأن المعارضة الشيعية العراقية ، فقد استضافت إيران المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق بقيادة آية الله محمد باقر حكيم منذ عام ١٩٨٤ ، ومنحتها تدريبا عسكريا على يد الحرس الثوري الإيراني ، ووفرت لها عمارات للتوجه للقيام بعمليات

داخل العراق من الأراضي الإيرانية . وأشارت بعض التقارير إلى معسكر تدريب للمعارضة العراقية في منظية بشمال طهران . وبعد فترة خبوت خلال فترة الانتصار العراقي في الحرب مع إيران عامي ١٩٨٠ و ١٩٨١ ، فإن النشاط الإيراني الخارجى في العراق عاد بقوة منذ تحول الإيرانيين للهجوم ودخول الأراضي العراقية عام ١٩٨٣ ، والتأكيد الإيراني على شعار إسقاط الحكم في العراق وإقامة حكم إسلامى هناك .

وقد ظل الحمينى يردد فكرة إسقاط حكم الرئيس صدام حسين حتى نهاية الحرب العراقية / الإيرانية - بل ومن قبل اندلاع الحرب عام ١٩٨٠ اعتبر صدام حسين كافرا يجب معاقبته دينيا . وتعاملت إيران في البداية مع حزب الدعوة ورجال الدين ، وفى مقدمتهم آية الله باقر صدر حتى إعدامه هو وشقيقته فى إبريل عام ١٩٨٠ بواسطة الحكم العراقى ، ثم فى مرحلة لاحقة من خلال حزب العمل الإسلامى وتنظيم المجاهدين ، حتى تأسيس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية ، الذى مثل توحيداً لفئات العمل السياسى الإسلامى الشيعى الراديكالى . وقد اتهم الحكم العراقى المنظمات الموالية لإيران بالمسؤولية عن عدة انفجارات منذ عام ١٩٧٩ ، بدءاً بمحاولة اغتيال طارق عزيز وزير الخارجية حينذاك وتفجير الجامعة المستنصرية ، وانتهاء بحوادث اختراق الحدود بين البلدين منذ انتهاء حرب الخليج الثانية ، وحدث انفجارات فى الجنوب ، وكذلك تعبئة المسلحين الشيعة فى منطقة الأهوار للعمل ضد الأهداف الحكومية فى المنطقة خاصة منذ انتفاضة الشيعة فى الجنوب فى مارس عام ١٩٩١ .

وبالإضافة إلى الشيعة ، اتهمت العراق إيران بدعم المعارضة الكردية المسلحة خاصة خلال سنوات الحرب العراقية / الإيرانية ، وتحديد دعم الحزب الديمقراطى الكردستانى العراقى للهجوم على شمال العراق الثرى بالنفط ، انطلاقاً من مواقع إيرانية فى منطقة حاج عمران . ثم فى مرحلة لاحقة اتهمتها بدعم الحركة الإسلامية فى كردستان العراق . وفى يناير عام ١٩٨٣ مارست إيران ضغوطاً على حليفاتها حيثئذ سوريا وليبيا لإصدار إعلان ثلاثى يدعم المعارضة العراقية . إلا أن قطاعاً من الشيعة العراقيين حاربوا ضد القوات الإيرانية عند دخولها الأراضي العراقية دفاعاً عن فكرة الدولة رغم تماثلهم العقائدى مع الإيرانيين . ورغم استئناف العلاقات الدبلوماسية بين العراق وإيران فى ١٤ أكتوبر عام ١٩٩٠ فى أعقاب الغزو العراقى للكويت ، استمر نشاط المجلس الأعلى للثورة الإسلامية فى العراق .

أما عن اليمن ، فإنه رغم قطع العلاقات الدبلوماسية بين البلدين فى بداية الثورة

الإيرانية ، واتهام رئيس وزراء اليمن الشمالية لإيران بدعم عناصر انقلابية هناك ، فإن العلاقات بين البلدين شهدت طفرة ، وتشكلت لجنة وزارية مشتركة بينهما . خاصة عقب موقف إيران الداعم لقيادة الرئيس على عبد الله صالح خلال الحرب الأهلية التي دارت ما بين مايو ويوليو ١٩٩٤ . كما تدعمت العلاقات الفنية والاقتصادية — بل والسياسية — مع دول الخليج بما فيها الإمارات المتحدة حتى عكرها استيلاء إيران الكامل على جزيرة أبو موسى أخيراً .

ثانياً : لبنان :

أكدت الحكومة الإيرانية خلال حياة الخميني استعدادها لمُد شيعية لبنان بالسلح والدخائر ، وتبنت كلا من حزب الله وأمل الإسلامية التي شكلت انشقاقاً عن أمل عام ١٩٨٢ بزعامة حسين موسى الذي تلقى تدريباً عسكرياً في إيران ، وقيل إن إيران دفعته لإنشاء منظمته الجديدة . وقد تلقت عناصر التنظيمين تدريباً عسكرياً على يد عناصر الحرس الثوري الإيراني ، خاصة بعد إرسال ٣٠٠٠ عنصر منهم عام ١٩٨٢ إلى لبنان ، تمركزوا في بعلبك تحت شعار مقاومة الغزو الإسرائيلي للبنان ، كما تلقت عناصرهما دورات عقائدية من الإيرانيين . وقد تميزت لبنان لفترة طويلة بخصوصيات عدة : غياب الدولة المركزية ، العلاقات التاريخية بين إيران وشيعية لبنان ، التهديد الإسرائيلي المستمر للشيعية ، ثم الوضع الاقتصادي والوضع الاجتماعي المتدنيين للشيعية .

وكان إرسال الحرس الثوري إلى لبنان قد جاء بدعوة من الراحل حجة الإسلام محمد المنتظري (ابن آية الله حسين المنتظري) أساساً بغرض دعم التنظيمات الموالية لإيران : أمل الإسلامية في البقاع ، وحزب الله في الجنوب اللبناني والضاحية الجنوبية لبيروت ، مما جسّد مشاركة فعلية عسكرية إيرانية لدعم قوى موالية . وقد أضفى هذا الوجود نزعة راديكالية بشكل عام على شيعية لبنان وأضعف أمل المعتدلة نسبياً وهيمنتها على العاملين السياسي والعسكري الشيعيين هناك .

وقد اتهمت أطراف غربية وإسرائيل إيران بكونها وراء تنظيمي الجهاد الإسلامي والعدالة الثورية التي بدأت عمليات اختطاف الرهائن الغربيين منذ عام ١٩٨٢ ، ابتداء بالأمريكي دافيد دودج ، وتدمير السفارة الأمريكية ببيروت في إبريل عام ١٩٨٣ ومقار مشاة البحريتين الأمريكية والفرنسية في لبنان وهو ما نفت إيران مسؤوليتها عنه

رغم تأكيد إدانتها لوجود هذه القوات في لبنان . وقد اتهمت إسرائيل الحرس الثوري الإيراني الموجود بلبنان بمهاجمة قيادة قواتها في صور عام ١٩٨٢ وردت بقصف مواقع الحرس في بعلبك في نوفمبر عام ١٩٨٣ .

كذلك فقد سعت إيران إلى إنشاء حركة إسلامية راديكالية موحدة في لبنان ، تضم بجانب حزب الله ، وأمل الإسلامية حركة التوحيد السنية في طرابلس ، وذلك في مواجهة أمل التي اعتبرتها القيادة الإيرانية في الثمانينات تنظيمًا معتدلاً . وقد كثفت وسائل الإعلام الإيرانية هجومها على أمل في النصف الثاني من الثمانينات خلال مصادمات أمل وحزب الله . وساندت إيران حزب الله صراحة ، وطالبت بدور سورى لوقف حرب أمل ضد حزب الله . وسبق ذلك دفع إيران لحزب الله للعب دور فصل قوات بين أمل ومنظمة التحرير الفلسطينية خلال عام ١٩٨٣م عقب اشتباكات بين الطرفين . وطبقا لتقديرات أمريكية ، فقد قدمت إيران لحزب الله ما قيمته ١٠٠ مليون دولار سنويا كدعم .

وعلى الجانب الآخر ، فإنه منذ كان رفسنجاني رئيسا للبرلمان فقد أدان اختطاف طائرة TWA في بيروت ، ودعا للإفراج عن ركابها ، وطالب حزب الله بالعمل بما يتسق مع هذا الموقف . وعقب اشتباكات أمل وحزب الله في ديسمبر عام ١٩٨٨ ويناير عام ١٩٨٩ بالصاحبة الجنوبية لبيروت وجنوب لبنان ، ساهمت إيران - مع سوريا - في التوصل لاتفاق بين الطرفين في ٣٠ يناير ١٩٨٩ تضمن حق حزب الله في العودة للجنوب اللبناني ، واستئناف نشاطيه الاجتماعي والسياسي في كافة مناطق الشيعة بلبنان . ودعت إيران حزب الله فيما بعد إلى عدم الرد على القصف السورى على بيروت الغربية حتى تحافظ على العلاقات السورية الإيرانية ، . وقد اضطرت إيران في مرحلة لاحقة - وبناء على ضغوط سورية - إلى سحب معظم الحرس الثوري الإيراني من لبنان وبقي فقط حولى ٥٠٠ عنصر منهم . ثم ساندت لاحقا جهودا سورية للتنسيق بين التنظيمين خاصة عقب اتفاق المصالحة اللبنانية في الطائف في مطلع التسعينات .

كذلك ذكرت تقارير أن إيران مارست ضغوطاً على حزب الله لضبط النفس عقب اختطاف إسرائيل في ٢٩ يوليو عام ١٩٨٩ للشيخ عبد الكريم عبيد ، أحد قيادى حزب الله في الجنوب اللبناني ، وعدم الإصرار على استبداله برهائن غربين خلال صفقات لاحقة بين إيران والدول الغربية ، وكذلك نفس الشيء بعد اغتيال إسرائيل للشيخ عباس الموسوى زعيم حزب الله في هجوم بالهليكوبتر في فبراير عام ١٩٩٢ وإن

اعتبر البعض تدمير السفارة الإسرائيلية في بوينس آيريس في ١٧ مارس عام ١٩٩٢ رداً على هذا الاغتيال ، رغم أن الجهاد الإسلامي هو الذي أعلن مسؤوليته عن هذا التفجير. كما ساهمت إيران في إقناع حزب الله بالانضمام للهجوم الشامل - بالتعاون مع سوريا - ضد العماد ميشيل عون في بيروت الشرقية في ١٤ أغسطس عام ١٩٨٩ . وعمدت القيادة الإيرانية الجديدة أيضاً إلى السعي لاجتذاب قوى لبنانية شيعية وغير شيعية أخرى ، كما تجسّد في زيارة نبيه برى زعيم حركة أمل ، ووليد جنبلاط زعيم الحزب الاشتراكي التقدمي وزعيم الدروز عدة مرات إلى طهران منذ عام ١٩٨٩ .

إلا أن التنسيق استمر مع حزب الله الذي يزور قادته طهران في مناسبات كثيرة . وفي أكتوبر من عام ١٩٨٩ زار وزير الداخلية الإيراني السابق على أكبر محتشمي ، المعروف بتشدهد ، لبنان والتقى مع قيادات حزب الله وأعلن في ٤ نوفمبر عام ١٩٨٩ - في الذكرى العاشرة لاحتجاز الرهائن الأمريكيين في طهران - استعداد حزب الله ضرب المصالح الأمريكية في المنطقة ، وتزامن ذلك مع انتقاد الرئيس رفسنجاني لاتفاق الطائف في ٢٨ أكتوبر عام ١٩٨٩ . إلا أن الموقف الإيراني الرسمي تغير بعد زيارة وزير الخارجية ولايتي لدمشق وتشاوره مع المسؤولين السوريين حول اتفاق الطائف ، وكذلك لقاءاته مع زعماء أمل ، وحزب الله ، ونائب رئيس المجلس الشيعي الأعلى الشيخ محمد مهدي شمس الدين .

ومنذ عام ١٩٨٦ كانت إيران قد بدأت تمارس ضغوطاً على التنظيمات المسلحة الموالية لها في لبنان ، للإفراج عن الرهائن الغربيين مقابل تحقيق مصالح وأهداف «لثورة الأم» في إيران ؛ مثل الحصول على استثمارات فرنسية في قطاع البتروكيماويات الإيراني ، أو طرد فرنسا لقيادات منظمة مجاهدي خلق المعارضة من أراضيها منذ يونيو عام ١٩٨٦ ، وتسوية ديون قديمة مع فرنسا ، أو الحصول على أسلحة أمريكية ، أو إفراج الرئيس الأمريكي عن ٥٧٠ مليون دولار ودائع إيرانية مجمدة في ٧ نوفمبر عام ١٩٨٩ . بل إن إيران أدانت في نوفمبر عام ١٩٩١ احتجاز الرهائن ، باعتباره عملاً غير إنساني ، وذكرت بمطالبتها الإفراج عن ٤ إيرانيين اختطفوا عام ١٩٨٢ . كما حرصت منذ ذلك الوقت على تكرار أدانتها للإرهاب واعتبار نفسها ضحية لعمليات إرهابية .

ورغم أن فترة رئاسة رفسنجاني لإيران شهدت تقليص المساعدات العسكرية والمالية لحزب الله ، والتنظيمات الأخرى الموالية لإيران في لبنان ، وممارسة مزيد من الضغوط على تلك القوى للبعد عن العمليات ذات الطابع الإرهابي ، والانصياع العام لأهداف

الاستراتيجية الإيرانية ومصالحها ، وموافقة وزير خارجية إيران - خلال زيارته لبيروت عام ١٩٩١ - على بسط سيادة الدولة اللبنانية على كامل أراضيها ، وتأكيد ذلك عقب زيارته لسوريا ولبنان في يونيو عام ١٩٩٢ ، فإن عديدا من الانتقادات وجهت إلى القيادة الإيرانية من قوى داخلية معارضة لممارستها ضغوطا على التنظيمات الموالية لها بلبنان ، خدمة لمصالح غربية مثل إطلاق سراح الرهائن .

وقد كرست انتخابات لبنان البرلمانية في أغسطس ، وسبتمبر عام ١٩٩٢ تقدما ملحوظا لتنظيمات راديكالية مثل حزب الله ، والجماعة الإسلامية ، مما قد يغريها بالابتعاد عن ممارسة أعمال العنف .

ثالثا : فلسطين :

ركزت إيران منذ انتصار الثورة على اعتبارها قضية فلسطين - خاصة القدس - قضية إسلامية ذات أولوية للسياسة الخارجية الإيرانية . وعقب فترة قصيرة بعد انتصار الثورة من العلاقات الحميمة بين إيران ومنظمة التحرير الفلسطينية ساد الفتر العلاقات بين الطرفين لعدة أسباب منها ، ما ذكر عن تدريب منظمات فلسطينية لعناصر منظمى مجاهدى خلق ، وفدائى خلق المعارضتين ، وموقف المنظمة المساند للعراق في حربه مع إيران ، بالإضافة لإصرار بعض القيادات الإيرانية على مطالبة القيادة الفلسطينية بإعلان إسلامية الثورة الفلسطينية . وعمدت إيران في الوقت نفسه إلى العمل على نشر مفاهيمها عن الثورة الإسلامية بين صفوف التنظيمات الفلسطينية في غزة والضفة الغربية (حماس - الجهاد الإسلامى) وتبلور ذلك خاصة عند اعتقال السلطات الإسرائيلية أفراد تنظيم يسمى الجهاد عام ١٩٨١ ، ثم اعتقال ٣٠ فردا من أعضاء الجهاد الإسلامى في الضفة الغربية لاحقا . كما سعت إيران لفتح اتصالات مع قيادات طلابية في غزة وعناصر سابقة من حركة فتح . وقد ارتبطت هجمات على دور سينما ومحلات بيع خمرور في الأراضي المحتلة بشعارات الخمينى وصوره . وقد اهتمت إسرائيل إيران بالعمل لبناء روابط بين التنظيمات الموالية لها في لبنان ، والأراضي الفلسطينية المحتلة ، بخاصة حزب الله والجهاد الإسلامى وأحيانا حماس . واستخدمت إيران الاحتفال بيوم القدس ومطالبتها بالجهاد الدينى من أجل فلسطين ، ودعم الكفاح المسلح بهدف إزالة إسرائيل من الوجود لدعم مصداقيتها الراديكالية بين الشعب الفلسطينى في الداخل . كما استقبلت في عدة مناسبات أحمد جبريل زعيم الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين -

القيادة العامة - و «أبو» موسى زعيم المنشقين على فتح ، رغم كونها يمثلان تنظيمين يساريين غير إسلاميين . ويفسر ذلك استضافة إيران في أكتوبر عام ١٩٩١ لمؤتمر نصر الثورة الإسلامية في فلسطين والانتفاضة الشعبية هناك ، وهو ماعمل على تجميع منظمات راديكالية - إسلامية أو غيرها - في المنطقة معادية لعملية السلام ، التي بدأت بمؤتمر مدريد وانتقاد المؤتمر صراحة . وقد عاد آية الله خامنئي أخيرا ليدين مفاوضات السلام ، ويعتبرها «معيبة» وينكر حق أى طرف في التفريط بحقوق الشعب الفلسطيني . إلا أن إيران عادت لإبقاء خيط مع منظمة التحرير ، والتقى وزير خارجيتها بسفير فلسطين في طهران مؤكدا له دعم إيران للانتفاضة في الأراضي المحتلة .

وقد تصاعدت الإدانات الغربية - خاصة الأمريكية - والإسرائيلية لإيران واتهامها بدعم الإرهاب بعد العمليات الانتحارية المكثفة التي قامت بها حركتا حماس والجهد الإسلامي في داخل إسرائيل في فبراير ومارس ١٩٩٦ وهو ما نفتته إيران وإن رحبت بهذه العمليات باعتبارها مقاومة للاحتلال .

رابعاً : الأردن وسوريا :

عقب توتر العلاقات بين الأردن وإيران إبان دعم الأردن للعراق في حربه مع إيران ، أعلنت الأردن في نوفمبر عام ١٩٩١ عن ضبط تنظيم إسلامي سري مسلح باسم جيش محمد ، وأشارت إلى أصابع إيرانية وراءه ، إلا أن نائب الرئيس الإيراني سرعان ما قام بزيارة لعمان مسلماً رسالة للملك حسين من الرئيس رفسنجاني ، مؤكداً رغبة إيران في تعزيز العلاقات بين البلدين ، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للأردن . . إلا أن عام ١٩٩٢ جاء بإعلان الأردن اكتشاف مؤامرة لقلب نظام الحكم ضلع فيها نائبان بالبرلمان وتنظيم إسلامي مسلح . وأشارت السلطات الأردنية من جديد إلى أدلة عن تمويل وتسليح إيرانيين لهذا التنظيم . كما اتهمت تنظيمات إسلامية فلسطينية بالضلع في هذا المخطط .

أما بشأن سوريا ، فإنه بالموازنة بين التحالف مع سوريا - خاصة بعد اندلاع الحرب مع العراق في سبتمبر عام ١٩٨٠ - وبين دعم التنظيمات الإسلامية الراديكالية المناهضة للحكم السوري ، تغلبت اعتبارات المصلحة السياسية ، والحسابات الواقعية ، واختارت إيران سوريا الدولة مما أساء - بالطبع - لصورتها لدى معظم هذه التنظيمات ولم

تتوان إيران عن اتهام الإخوان المسلمين في سوريا ، بأنهم عملاء للعراق وللصهيونية . وإن كانت عناصر من الحرس الثوري الإيراني قد اعتبرت مسئولة عن اختطاف السفير السوري في طهران لعدة ساعات عام ١٩٨٦ قبل الإفراج عنه ، فإن التنسيق الإيراني السوري حول الكثير من القضايا مثل لبنان والعراق وغيرهما ، أثبت متانته رغم مروره بعدة هزات ، بما فيها مشاركة سوريا في عملية التسوية للصراع مع إسرائيل الجارية منذ عام ١٩٩١ .

خامسا : مصر :

منذ انتصار الثورة في إيران ، اعتبر قادة إيرانيون الحركة الإسلامية في مصر - وخاصة جناحها الراديكالي - ابنا شرعيا للثورة الإسلامية في إيران ، وأدانت إيران في الثمانينات - وفي عدة مناسبات - ما أسمته تعقب الحكومة المصرية لعناصر الجماعات الإسلامية في مصر ، وما ذكرته من اضطهادها لهم . وتحدث رفسنجاني نفسه - عندما كان رئيسا للبرلمان عام ١٩٨٥ - عن أوجه الشبه بين الحركات الإسلامية بمصر وبدايات الثورة في إيران . كما انتقد آخرون منع مسيرات الإسلاميين ، وحرصوا علماء الدين والشباب ضد الحكومة في مصر . كما فتحت إيران صحافتها في عدة مناسبات أمام كتاب من المعارضة الإسلامية - بمن في ذلك بعض من يدعون إلى استخدام العنف - في مصر . كما عمدت إيران إلى نفي اتهام البعض للجماعة الإسلامية في مصر بالارتباط بالولايات المتحدة ، بينما هاجمت وسائل إعلام إيرانية - في بعض الحالات - الإخوان المسلمين في مصر بصفتهم تابعين للسعودية ومخالفين لفكر حسن البنا . رغم سبق قيام الإخوان بمحاولة وساطة بين إيران والولايات المتحدة إبان أزمة الرهائن الأمريكيين في طهران . ودعت بعض هذه الوسائل الإعلامية في بعض المناسبات إلى استخدام العنف ضد الحكومة في مصر .

وبالإضافة إلى إعلان الخميني ابتهاجه عقب اغتيال الرئيس السادات عام ١٩٨١ ، فقد أشارت سلطات الأمن المصرية إلى وجود كتب للخميني بين ما وجد مع من قاموا باغتيال الرئيس الراحل . كما أشارت تقارير إلى اتصالات بين تنظيم الجهاد الذي تبنى عملية الاغتيال وبين إيران - من خلال عناصر فلسطينية إسلامية من قطاع غزة .

وقد أطلقت السلطات الإيرانية أسماء سيد قطب وخالد الاسلامبولي والشيخ كشك على شوارع بطهران ، كما قامت بترجمة وتوزيع كتب حسن البنا وسيد قطب .

ولاشك أن الثورة الإيرانية أثرت على الأفكار والتكتيك السياسي لعدد من الحركات الإسلامية السرية التي تبنت أعمال عنف في مصر . ويأتى في هذا السياق ما أعلن في أغسطس عام ١٩٨٣ عن اكتشاف مؤامرة دبرها حزب التحرير الإسلامى ، والذي أجرى اتصالات مع إيران . كما أعلن مرتين منذ أغسطس عام ١٩٨٩ عن اكتشاف وضبط تنظيم شيعى يعمل لصالح إيران وعلى اتصال بعناصر أخرى في الهند وقبرص والعراق وسوريا .

وقد عمدت إيران إلى محاولة إعطاء ثقل لقيادات سياسية إسلامية في مصر عقب نهاية حربها مع العراق عندما اشتربت وساطة هذه القيادات قبل الإفراج عن الأسرى المصريين الموجودين لديها .

ورغم تقديم مصر مساعدات ومواد غذائية لإيران في يونيو عام ١٩٩٠ عقب حدوث زلزال في إيران ، وتأييد رئيس لجنة العلاقات الخارجية في البرلمان الإيراني سعيد رجائى خراسانى في نوفمبر عام ١٩٩١ لعودة العلاقات مع مصر ، خاصة أنه ذكر أن لإيران علاقات مع بقية الأطراف العربية التي حضرت مؤتمر السلام في مدريد ، فإن آية الله صادق خلخلى وصحفا إيرانية هاجما هذا التوجه ، وساءت العلاقات عام ١٩٩٢ عندما وصفت صحيفة الجمهورية الإسلامية الإيرانية مصر بأنها « شيطان صغير » واتهام مصر لإيران في أغسطس عام ١٩٩٢ بالاشتراك في تدريب عناصر تنظيم الجهاد في معسكرات تابعة للجبهة الإسلامية القومية بالسودان . وقامت مصر بسحب رئيس قسم رعاية المصالح المصرية في طهران في ٣٠ نوفمبر عام ١٩٩٢ عقب اتهام وزير الداخلية المصرى السابق لإيران بتمويل وتدريب عناصر إسلامية متطرفة . وأعقب ذلك مطالبة وزير الخارجية المصرى لإيران بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى . وفي ١٨ مارس عام ١٩٩٣ اتهمت مصر سودانيين حاولوا التسلّل عبر منفذ السلوم بتلقى تدريب عسكري في إيران للمشاركة في تنفيذ عمليات إرهابية داخل مصر . كما جاءت زيارة الرئيس مبارك للولايات المتحدة ودول أوروبية في مارس / أبريل ١٩٩٣ لتعكس اتهامات متزايدة لإيران بدعم الإرهاب في مصر والمنطقة والتدخل في شئون الدول الأخرى مع الإشارة إلى أن مصر تستطيع الرد على هذا الدور الإيراني ، ويمكنها اللعب في الشؤون الداخلية الإيرانية .

إلا أنه عقب محاولة الاعتداء الفاشلة على الرئيس حسنى مبارك في أديس ابابا في يونيو ١٩٩٥ ، سارع رئيس الوزراء الإسرائيلى حينذاك اسحق رابين لاتهام جماعات

متصلة بإيران بالمسئولية عن المحاولة ، ودعمت أجهزة سياسية ووسائل إعلام غربية أقوال رابين . ولكن الثابت أن أيًا من المسؤولين المصريين لم يوجه اتهامًا مباشرًا لإيران في هذا الشأن رغم انتقاد مسئولين مصريين لإعلان بعض الصحف الإيرانية عن دعمها لتلك المحاولة . وقد حرص الموقف الرسمي المصري على عدم السماح باستدراجه من قبل أطراف ثالثة لاستعداد مصر من إيران خاصة في ظل غياب دليل قاطع على تورط إيران في محاولة الاعتداء . وعلى الجانب الإيراني ، كان هناك حرص على نفى اتهامات رابين أو أى علاقة لإيران بالمحاولة وامتنعت مصادر رسمية إيرانية عن أى إشادة بالمحاولة أو نقد لها ، في إطار مسعى إيراني لتطبيع العلاقات مع مصر . وجاء دعم بعض الصحف الإيرانية لمحاولة الاعتدال في إطار توازن القوى والخلافات السياسية داخل النخبة الحاكمة في إيران .

سادسا : السودان :

بالإضافة إلى ما سبق ذكره من اتصالات وتعاون وثيق بين الثورة الإيرانية والجهة الإسلامية القومية في السودان ، وتقارير أشارت إلى تعاونها في تدريب وتلقين عناصر تابعة لتنظيمات إسلامية راديكالية في بلدان إسلامية أخرى ، فمن المؤكد أن الوجود الإيراني في السودان قد تزايد منذ تولى الرئيس البشير مقاليد السلطة هناك ، وقد شهدت زيارة الرئيس رفسنجاني للخرطوم عام ١٩٩١ توسيعا لهذا التعاون الذي شمل مجالات دفاعية وأمنية ، وإنشاء مكتب لوزارة جهاد البناء الإيراني في الخرطوم ، بالإضافة إلى فتح قنصلية إيرانية في بور سودان على البحر الأحمر . وقد أشار مراقبون إلى أن تزايد الوجود الإيراني في السودان كان له تأثير مباشر على دعم الحركات الإسلامية المسلحة في الصومال ، خاصة حركة الجهاد الإسلامي هناك ، وفي بلدان أفريقية أخرى بها جاليات مسلمة كبيرة الحجم باعتبار السودان نافذة إيران على أفريقيا المسلمة .

سابعا : المغرب العربي :

فيما يتعلق بتونس ، اتهمت الحكومة هناك إيران عدة مرات في النصف الأول من الثمانينات بدعم منظمات « خمينية » في تونس . وفي مرحلة لاحقة أشارت السلطات التونسية إلى أدلة تشير إلى تعاون واتصالات بين حركة الاتجاه الإسلامي - النهضة فيما بعد - بزعامة الاستاذ راشد الغنوشي وبين إيران مما شكل أحد دوافع حظر نشاط الحركة عام ١٩٨٧ ومنع السماح بإعطاء رخصة رسمية لعودة النهضة بعد حركة السابع من نوفمبر

عام ١٩٨٧ . ولاشك أن النموذج الإيراني أثبت لجماعات إسلامية عديدة في تونس أنها يمكن أن تستخدم العنف في مواجهة الحكومة وتنجح في إسقاطها . إلا أن العلاقات الدبلوماسية عادت بين إيران وتونس في سبتمبر عام ١٩٩٠ بعد قبول الحكومة التونسية وساطات لتحسين هذه العلاقات . كما شهدت المرحلة الأخيرة تبادل زيارات لكبار مسؤولي وزارتي الخارجية في الدولتين ، إلا أن بعض المصادر أشارت إلى اتصالات تجريها إيران مع رجال أعمال شيعة في الخليج لأجراء استثمارات في تونس والمغرب بهدف دعم الحركات الإسلامية الراديكالية في المغرب العربي ودول افريقيا الإسلامية .

وقد تدهورت العلاقات الإيرانية الجزائرية نتيجة اتهام الجزائر لإيران بدعم الجبهة الإسلامية للإنقاذ . وقد فشلت محاولات تطبيع العلاقات بين البلدين عام ١٩٩١ وانتهى الأمر بقطع الجزائر علاقاتها مع إيران عام ١٩٩٣ بناء على أدلة أشارت إلى تدخل إيران في شئون الجزائر الداخلية ودعمها لجماعات إسلامية تمارس العنف السياسي عقب فرض حالة الطوارئ وإدانة الصحافة الإيرانية لما أسمته إجهاض انتصار الإسلاميين في الانتخابات البرلمانية بالجزائر . وكان قد سبق ذلك إعلان وزير خارجية الجزائر في يناير عام ١٩٩٢ أن بيانات وتوجيهات إيران تعتبر غير مقبولة بشأن الموقف في الجزائر وسحبت سفيرها من طهران في نوفمبر عام ١٩٩٢ وطالبت سفير إيران في الجزائر بالعودة إلى بلاده ردا على مهاجمة إيران للحكم في الجزائر ومؤسساته الرسمية . وقد واصلت الجزائر اتهام إيران بتدوير مساعدات مالية ضخمة للحركات الإسلامية الراديكالية في الجزائر وتونس والسودان — خاصة عقب استقالة الرئيس الشاذلي بن جديد . كما شنت الصحافة الجزائرية منذ عام ١٩٩٢ حملة مكثفة ضد ما أسمته بمؤامرة النخبة الثيوقراطية في طهران ، واتهمتها بالعمل لزعة الاستقرار والاستيلاء — بواسطة عناصر موالية لطهران — على السلطة في الجزائر ثم تكرار نفس الأسلوب في بقية دول المغرب العربي ، واعتبرت الهدف الرئيسي للخطة الإيرانية دعم النفوذ الشيعي ليس فقط في المغرب العربي بل في مجمل الوطنين العربي والإسلامي . كما اتهمت الصحافة الجزائرية قيادات شيعية إيرانية دينية بتدبير اجتماعات في بعض مساجد المشرق العربي تجمع عناصر إسلامية متطرفة في لبنان والسعودية والبحرين والسودان والعراق وسوريا .

ورغم اتهام إيران للجبهة الإسلامية للإنقاذ في مرحلة سابقة بتأييد الأفكار الوهابية ، إلا أنها ليست بعيدة عن الحركة الإسلامية بالجزائر وتقديم الدعم والنصيحة إلى بعض فصائلها . كما اعتبرت إيران نجاح إقامة جمهورية إسلامية في الجزائر نموذجا سيتبع

بواسطة بقية دول المغرب العربي ، بل ودول جنوب الصحراء مثل مالي والسنغال والنيجر . كما اعتبرت بعض المراجع الدينية الإيرانية هزيمة الحركة الإسلامية في الجزائر هزيمة لإيران وقد أدنت إيران الانتخابات الرئاسية في الجزائر عام ١٩٩٥ وما تمخضت عنه من انتخاب الرئيس الأمين زروال بحجة أنها استبعدت الحركة الإسلامية من المشاركة فيها . وبالمقابل ، دعت إيران التنظيمات الإسلامية في البلدان العربية للتركيز على كون المشروع الإسلامى وحده هو القادر على حل مشكلات المجتمع . ورغم قطع العلاقات بين موريتانيا وإيران بناء على اتهام إيران بالتدخل في الشؤون الداخلية لموريتانيا ، فإن العلاقات عادت في ٢٩ سبتمبر ١٩٩٠ بناء على وساطات عدة .

ثامنا : الدول الإسلامية غير العربية :

بالإضافة إلى ما ذكر في الجزء الأول من هذه الدراسة ، ثم الجزء الخاص بالاتصالات مع الحركات الشيعية ، فلننا نشر هنا إلى تقديم إيران مساعدات مادية ومعنوية ودعمها عسكريا وتدريبيا لبعض جماعات المجاهدين الأفغان ضد الوجود السوفياتي هناك ، كما قدمت الدعم الإعلامى والدعائى لهذه الجماعات ، خاصة حزب الوحدة الإسلامية الشيعى ، والميليشيات الأوزبكية والإسماعيلية في بعض الأحيان ، وحكومة الجمعية الإسلامية بزعامة برهان الدين ربانى في أحيان أخرى . كما أن إيران تقاربت في مرحلة مع قلب الدين حكمتيار زعيم الحزب الإسلامى ، ورحبت بإعلان حكمتيار في فبراير عام ١٩٨٨ بالانتقال للعمل من إيران . ودعمت إيران التنظيمات الشيعية في أفغانستان خلال القتال مع تنظيمات أخرى في عدة مناسبات منذ عام ١٩٩٢ . ثم ساهمت مع باكستان والسعودية في الإشراف على توقيع اتفاق لاقتسام السلطة في أفغانستان والذي وقع عام ١٩٩٢ في إسلام آباد ، وإن لم يخرج حيز التنفيذ أبدا . كما حاولت إيران منذ نهاية عام ١٩٩٤ فتح قناة اتصال مع حركة طالبان رغم مسئولية الأخيرة عن مصرع زعيم حزب الوحدة الشيعى .

وفي تركيا ، اتهمت الحكومة هناك إيران عدة مرات بتمويل تنظيمات سرية تعمل على الإطاحة بالحكم هناك ، وإنشاء دولة إسلامية مثلما حدث في مارس عام ١٩٨٣ . كما اتهمت تركيا إيران بدعم أعمال المقاومة هناك ضد قرار حظر الحجاب في الجامعات وأماكن العمل . ورغم إحياء منظمة التعاون الاقتصادى بين باكستان وتركيا وإيران

والتقارب الإيراني / التركي ، فإن السلطات التركية اتهمت إيران بكونها تقف خلف عمليات الاغتيال التي طالت خلال الشهور الأخير عدداً من الكتاب والصحفيين العلمانيين واليساريين الأتراك ، بالإضافة إلى شكوك تركية بشأن دعم إيران لحزب العمال الكردستاني اليساري والانفصالي والذي يقوم بعمليات مسلحة داخل تركيا ، خاصة في جنوبها الشرقي .

ومنذ وجود الاتحاد السوفياتي ، حرصت إيران على توجيه إرسال إذاعي لمسلمي الاتحاد السوفياتي ، ثم تبع ذلك عقب سقوط وتفكك الاتحاد السوفياتي - إقامة معسكرات للاجئين الطاجيكيين ، ونظمت تياراً مالياً لها دعمته في مواجهة سلطة الرئيس إسلام كريموف الذي اتهمته بمواصلة الخط الشيوعي . وقد اتهمت حكومة طاجكستان إيران بالوقوف خلف محاولة الانقلاب الفاشلة التي قام بها الإسلاميون هناك . إلا أن إيران شاركت بعد ذلك في جهود الأمم المتحدة للوساطة بين الحكومة والمعارضة هناك . وفي أذربيجان ، حرصت إيران على حشد المعارضة ضد الجبهة الشعبية الحاكمة هناك - والمدعومة من تركيا - منذ عام ١٩٩٢ مع إحساس إيران بضعف مركزها هناك نتيجة عدم تعاطف رجال الدين التقليديين مع النموذج الثوري الإيراني . وإن أكدت في مرحلة لاحقة معارضتها للاعتداء الأرميني على سلامة أراضي أذربيجان .

وبينما شهدت الثمانينات اتهام السنغال ، وكوت ديفوار ، وكنيا ، لإيران بالتدخل في الشؤون الداخلية لهذه الدول ، وقطعها علاقاتها مع إيران ، فإن بعض التحسن طرأ على هذه العلاقات ، وأعيدت العلاقات بين إيران والسنغال في فبراير عام ١٩٨٩ . ورغم اتهام بعض الدول الإسلامية لإيران بتقديم النفط سرا إلى الصرب ، فإن توقيف طائرة إيرانية في ١١ سبتمبر عام ١٩٩٢ في مطار زغرب ، واكتشاف أسلحة بها مهربة إلى مسلمي البوسنة والهرسك أثار علامات استفهام حول دعم إيران لقوى أو فصائل ما في معادلة الصراع المسلح في البوسنة والهرسك . ثم جاءت الاتهامات الأمريكية خلال عام ١٩٩٦ بوجود خبراء عسكريين وأسلحة إيرانية في البوسنة وحث حكومة سراييفو على اجلائهم في وقت نفت فيه طهران وسراييفو هذه الاتهامات . ولا يفوتنا هنا أن نشير إلى دعوة إيران لتظاهرات شعبية عبر العالم الإسلامي ضد هدم المندوس مسجد بابرى بالهند ، وكان ذلك تكراراً لدعوة الخميني لتظاهرات إسلامية عام ١٩٧٩ عقب اتهامه الولايات المتحدة بأنها وراء اقتحام الحرم المكي ، مما أدى إلى الهجوم على سفارات وقنصليات أمريكية في ستة بلدان إسلامية .

خاتمة :

نشير هنا إلى أن اتهام إيران بممارسة ودعم العنف السياسى لا يقتصر على لعب أدوار فى دول أخرى ، وبواسطة تنظيمات إسلامية راديكالية أخرى ، أو ضد أنظمة حكم هذه الدول ، وإنما امتدت أصابع الاتهام إلى الحكم الإيرانى فى شأن اغتيال عدد من المعارضين السياسيين واللاجئين الإيرانيين فى دول أوروبية وأمريكية ، خاصة اغتيال شهيد بختيار رئيس الوزراء السابق فى أغسطس عام ١٩٩١ ، والدكتور كاظم رجوی فى كوييه بسويسرا ، بالإضافة إلى اغتيال عدة قياديين للمجلس الوطنى للمقاومة الذى تقوده منظمة مجاهدى خلق فى روما واسطنبول ومدن أخرى . وقد اتهم مجاهدو خلق إيران بالمسؤولية عن هذه العمليات ، بينما نفت ذلك الحكومة الإيرانية واعتبرتها تصفية حسابات فيما بين فصائل المعارضة الإيرانية .

وختامًا ، فإنه رغم أن الدلائل تشير إلى اتجاه عام للبراجماتية ، وتغليب المصالح الوطنية على الاعتبارات العقائدية فى عملية صنع السياسة الخارجية الإيرانية منذ رئاسة رفسنجانى للجمهورية الإسلامية ، فإن استمرار الصراع بين المتشددين والمعتدلين فى إيران ، ومواصلة المتشددين ممارسة ضغوطهم على الحكم الإيرانى ، ووجود من يعتبر دعم الحركات الإسلامية الراديكالية عبر العالم - بين صفوف القيادة الإيرانية - ورقة ضغط مفيدة فى يد السياسة الخارجية الإيرانية خاصة فى ظل استمرار العزلة النسبية لإيران تجاه الغرب فى ضوء استمرار سريان فتوى إباحة دم سليمان رشدى والتخوف الأمريكى مما تعتبره الإدارة الأمريكية الجديدة جهود التسليح غير التقليدى الإيرانية ومساندتها للإرهاب عبر العالم ومعارضتها لعملية التسوية فى الشرق الأوسط ، كل هذه عوامل تدفع باتجاه عدم القدرة على التنبؤ بقدر من التيقن حول مدى استمرارية ارتباط إيران بجماعات العنف السياسى داخل المنطقة وخارجها مستقبلا من عدمه ومدى هذا الارتباط وطبيعته ودرجته .

وحتى إذا ما امتنعت إيران عن تقديم أى دعم من أى نوع - حتى ولو كان معنويا فقط - للحركات الإسلامية الراديكالية - وهو أمر مستبعد إلى حد ما - فإن بقاء الثورة الإسلامية فى الحكم فى إيران فى حد ذاته يمثل مصدرا لإلهام للعديد من الجماعات الإسلامية المتطرفة ، خاصة تلك الجماعات ذات الطابع العنيف ، كما أن العديد من هذه الحركات عبر العالم الإسلامى تعتبر إيران الملاذ والملاجئ الأخير لها ، بعد أن استعارت هذه الحركات اللغة والشعارات السياسية للثورة الإيرانية .

قائمة بأهم المراجع

الأجنبية :

- Afrachteh, Kambiz. " Iran " In **Politics of Islamic Reassertion**. Ed . Mohamed Ayoob, London : Croomhelm, 1981.
- Bakhash, Shaul. **The Relgn of the Ayatollahs** , London : I.B. Tauris, 1985.
- **The Constitution of the Islamic Republic of Iran**. Tehran: Islamic Propagation Organisation, 1990.
- Djailli, Mohammad - Reza. **Diplomatle Islamique : Stratégie internationale du khomeynisme** , Paris : PUF , 1989.
- **El - Modjahid** (Algerie) , 21 Janvier 1992.
 - Hunter, Shlreen, " After the Ayatollah " **Foreign Policy**. Spring 1987.
 - " Iran and the spread of Revolutionary Islam " . **Third World Quarterly**. April 1988.
- **Ed. The Polittics of Islamic Revivalism**. Bloomington : Indians University Press , 1988.
- An Interviw with Arlf Husainy. **Third World Quarterly**, April 1988.
- Pipes, Daniel . **In the Path of God** . N.Y. : Basic Books , 1983.
- Rajaei, Farhang. **Islamic Values and World View**. Lanham: Univerlty Press of America, 1983.
- Ramazani, R.K. " Khymayni's Islam in Iran's Foreign Policy " . in **Islam In Foreign Pollicy**. Ed. Adeed Dawisha. London : Royal Institute of Intematlional Affairs , 1983.
- **"Revolutionary Iran : Challenges and Responses in the Middle East**. Baltimore : John Hopkins University Press, 1987.
- Roy, Olivier. **L'echec de l'Islam Politique**. Paris : editions du Seuil , 1992.
- **Tehran Times** . 20 November 1991.
- Wright, Rubln. **In the Name of God : The Khomeini Decade** . London Simon and Schuster , 1989.

العربية:

- خطب آية الله الخامنئي في أسبوع الوحدة الإسلامية لعام ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م . طهران : منظمة الإعلام الإسلامى عام ١٩٨٩ .
- مجلة الشهيد الإيرانية : أعداد رمضان ١٤٠٠ هـ ، شوال ١٤٠٥ هـ ذى القعدة ١٤٠٥ هـ .
- فهمى هويدى . العرب وإيران . ذى القعدة ١٤٠٦ هـ القاهرة : دار الشروق ، ١٩٩١ .
- جريدة كيهان الإيرانية (الطبعة العربية) أعداد ١٦ ذى القعدة ١٤٠٥ هـ ويناير ١٩٩٣ م .
- د . وليد محمود عبد الناصر . ثلاث دوائر إقليمية في السياسة الخارجية الإيرانية ، القاهرة مركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية ، ١٩٩٦ .

الفصل الخامس

إيران نحو الحسم، التصعيد أم الاستقرار؟

حدثت تطورات متعددة ومتلاحقة خلال عقد التسعينات وقبل الانتخابات النيابية التي جرت في مارس ١٩٩٦ ، في إيران دفعت بهذا البلد مرة أخرى إلى قلب الأحداث ، وجرّت هذه التطورات على أكثر من مستوى ، وفي أكثر من اتجاه . فقد تزامنت محاولة اغتيال رفسنجاني أثناء إلقاء خطابه بمناسبة الذكرى الخامسة عشرة لعودة الخميني إلى إيران في فبراير ١٩٩٤ ، ثم استبدال شقيقه محمد هاشمي كرئيس لجهاز البث والإرسال الإيراني بعلي لاريجاني وزير الثقافة والإرشاد الإسلامي السابق - واحد المقرّين لمُرشد الثورة آية الله خامنئي ، وقبل ذلك اضطرابات المناطق السنية في شرق إيران خاصة مدينة زاهدان ومادار من حديث حول تدمير في صفوف المرجعيات الدينية الشيعية في قم .

ورغم أن نظام الحكم الإيراني قد تحرك في اتجاه بنودى حول عدد من مسائل السياسة عبر السنوات الماضية ، واستخدم قاداته ورموزه لغات خطابية سياسية متباينة ، فقد اعتمد ذلك إلى درجة ما على الساحة التي يتحدثون فيها والمستمعين لخطابهم السياسى . ولا يوجد شك في وجود خلافات في صفوف الشخصيات السياسية والمثقفين ورجال الدين المؤيدين للنظام . ودار هذا الخلاف حول مسائل أساسية أحيانا ومساائل فرعية أحيانا أخرى .

وقد أوضحت الأحداث التي تتناولها هذه الدراسة أن هناك أمورا كثيرة مازالت لم تحسم بعد في صفوف الدولة والمجتمع والاقتصاد الإيراني .

أولا : الأوضاع في إيران قبل أحداث ١٩٩٣ و ١٩٩٤ :

١ - الوضع الاقتصادي :

لقد كان الرئيس رفسنجاني يمر بعملية تنفيذ « إصلاحات » اقتصادية عميقة ، بما تضمنته من تحرير الأسعار وأسعار الصرف ، وتحويل عدد من مؤسسات الدولة إلى القطاع الخاص ، وتبنى سياسة انفتاح اقتصادى وتشجيع الاستثمار الأجنبي . كما سعى رفسنجاني وحكومته إلى تطوير علاقات أفضل مع المؤسسات التمويلية الدولية ،

وإدماج إيران في السوق العالمي . وقد نجح رفسنجاني في إقناع المجلس (المحلي النيابي) في ديسمبر عام ١٩٩٣ بزيادة أسعار الكهرباء ، وتخفيض كميات المياه الممنوحة مجاناً ، كما أعلن عزمه على تحرير أسعار ٣١ سلعة خلال عام ١٩٩٤ . وقد أكد الرئيس رفسنجاني وعدد من كبار مساعديه - وفي مقدمتهم وزير الاقتصاد - في أكثر من مناسبة على الأولوية التي توليها إيران لإعادة البناء . وأكد جواد لاريجاني رئيس لجنة العلاقات الخارجية في البرلمان الإيراني حينذاك (المجلس) أن أولويات إيران هي إعادة البناء ، ودعم القطاع الخاص ، والسوق الحرة ، ومنح ضمانات للمستثمرين . وأعلن وزير الاستخبارات على فلاحيان من جانبه أن إيران ترحب بعودة أبنائها المقيمين بالخارج ، وأنه سيتم تجاهل أية سجلات أمنية سابقة ضدهم . وقد برز إرسال إيران نائب الرئيس محسن نورباخش على رأس وفد ضم رئيس البنك المركزي الإيراني عادل إلى اجتماعات صندوق النقد الدولي في واشنطن في سبتمبر عام ١٩٩٣^(١) .

٢ - السياسة الخارجية :

وعلى جبهة العلاقات الخارجية ، كان الرئيس رفسنجاني يبدو فخوراً بجهوده الناجحة لإعادة العلاقات مع المملكة العربية السعودية ، واعتبر ذلك عنصر استقرار في المنطقة والعالم الإسلامي وفي أسواق النفط العالمية ، وكذلك إعادة العلاقات مع تونس والمغرب والأردن . كذلك تمكن رفسنجاني من تحسين العلاقات مع دول الخليج ، بما في ذلك العلاقات الاقتصادية مع دولة الإمارات العربية المتحدة التي تم فتح خط بحري بينها وبين إيران في أكتوبر عام ١٩٩٣ ، رغم الخلاف بينهما على مسألة الجزر الثلاث . وقد سعى المعتدلون في إيران إلى اعتبار هذا الخلاف موروثاً عن عهد الشاه . كما يشيرون باستمرار إلى أن منطقة الخليج بأسرها تتسم بعدد من صراعات الحدود . وقد سعت إيران إلى أن تفسر جهودها التسليحية أمام دول الخليج باعتبارها تهدف إلى مواجهة أي تهديدات عراقية مستقبلية ضد إيران كما حدث في السابق . ومن جانبها كانت إيران - ولا تزال - تشعر بالقلق تجاه الوجود العسكري المكثف للولايات المتحدة في الخليج وحوله . وحاولت ممارسة ضغوط على دول الخليج لإخراج « القوات الأجنبية » من الخليج إلا أن هذه الدول فسرت الوجود الأمريكي كضمانة لتحقيق الاستقرار في المنطقة ومواجهة أية مغامرات مستقبلية هناك على غرار غزو العراق للكويت ، وليس في ضوء منطلق الحرب الباردة^(٢) .

كذلك زاد التعاون الإيراني مع كل من تركيا وباكستان ، خاصة في إطار مجلس التعاون الاقتصادي . وكذلك طورت إيران ترتيبات تعاونية مع جمهوريات آسيا الوسطى الإسلامية ، واستمر التنسيق مع سوريا حول عدد من المسائل الإقليمية .

وفيما يتصل بالموقف تجاه المشكلة الفلسطينية فإنه رغم استمرار إدانة إيران لإسرائيل - خاصة في إطار التضامن مع حزب الله في لبنان واتهامها بدعم الإرهاب ، وانتهاك حقوق الإنسان في الأراضي المحتلة وامتلاكها أسلحة نووية ، فإن إيران لم تردد في التقارب مع قطر التي زار وزير خارجيتها طهران في نوفمبر ١٩٩٣ ، وذلك بالرغم من تطوير قطر اتصالات ولقاءات مباشرة مع إسرائيل ، والتحدث عن مشروعات تعاون ثنائية معها . كما تحدث رئيس لجنة العلاقات الخارجية بالبرلمان الإيراني حينذاك عن الحاجة إلى « سلام واقعي » قائم على الإقرار بحقوق المسلمين والمسيحيين واليهود في فلسطين ، بل وعرض لعب إيران دورا لتحقيق مثل هذا السلام . كما لاحظ المراقبون الرد المعتدل نسبيا لإيران على اتفاق غزة أريحا بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في واشنطن في سبتمبر عام ١٩٩٣ الذي قصر هجومها على شخص الرئيس الفلسطيني عرفات ، واكتفاء وزير الخارجية الإيراني ولاياتي في خطابه أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ٤ أكتوبر عام ١٩٩٣ باعتباره الاتفاق مؤامرة ضد الإسلام وفلسطين . وذكر أمين المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني حينئذ حسن روحاني في ٢٢ سبتمبر عام ١٩٩٣ أن إيران لا تنوي اتخاذ أي إجراءات ضد الاتفاق أو التدخل ضد العملية السلمية . (٣)

ورغم استمرار القطيعة بين الولايات المتحدة وإيران ، فقد نجحت إيران خلال تلك الفترة في تطوير علاقات تجارية واقتصادية وثيقة مع كل من اليابان وألمانيا وفرنسا ودول أوروبية وغربية أخرى . ونشير هنا إلى زيارة أمين عام وزارة الخارجية الفرنسية إلى طهران في سبتمبر عام ١٩٩٣ ، وحديثه المتفائل عن مستقبل العلاقات الفرنسية الإيرانية . كما قام وزير الاستخبارات الإيراني على فلاحيان بزيارة إلى ألمانيا في أكتوبر عام ١٩٩٣ - رغم انتقاد الولايات المتحدة والمملكة المتحدة لها - ودعا إلى تعاون مع ألمانيا في مكافحة الإرهاب وتجارة المخدرات . واعتبر فلاحيان إيران ضحية للإرهاب . وقد فسر بعض المحللين حرص إيران على التقارب مع اليابان وأوروبا الغربية بأن دافعه مواجهة أية ضغوط أو تهديدات أمريكية ، ولإظهار إيران كقوة اعتدال وتوافق في المنطقة ، وداخل منظمة الأوبك (٤) .

101

الإيراني ولاياتى بنظيره البريطانى دوجلاس هيرد فى نيويورك فى أكتوبر ١٩٩٣ وعبر عن تفاؤل نسبي تجاه مستقبل العلاقات بين البلدين^(٧).

وبصفة عامة ، كان آية الله إبراهيم أمينى إمام جمعية قم قد دعا إلى تطبيع علاقات إيران مع كل الحكومات الإسلامية ، وغير الإسلامية ، وعدم إعاقة تقدم هذه العلاقات وطالب بالأخذ فى الاعتبار التوازن الدولى الراهن للقوة والقدرات العسكرية والاقتصادية بدلا من التشبث بمواقف مبدئية مطلقة . وقد حرصت إيران على نفى ماورد بتقرير المعهد الدولى للدراسات الاستراتيجية عام ١٩٩٣ عن تطوير إيران لأسلحة نووية ووصفته بأنه دعاية مضادة وخرافات . كما ردت إيران من خلال مثلها الدائم فى نيويورك على اتهامات مدير المخابرات المركزية الأمريكية لإيران بدعم الإرهاب وإملاكها أسلحة نووية . وكرر السفير الإيراني أن بلاده ضحية للإرهاب ، وأنها تتعاون مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية . وحرص رئيس لجنة العلاقات الخارجية بالبرلمان الإيراني حينذاك - محمد جواد لاريجاني - على نفى أى دور لإيران فى عمليات العنف بمنطقة الشرق الاوسط أو بالعالم ، وإن أقر بالتأثير الفكرى لإيران - من خلال فكر آية الله الخميني - على المسلمين فى كل مكان^(٨).

ونجد فى بيان وزير الخارجية ولاياتى أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى أكتوبر عام ١٩٩٣ انتقادا لازدواجية المعايير لدى مجلس الأمن عند التعامل مع مواقف متشابهة وتأثره بمصالح القوى الكبرى . ولكننا نجد فيه دعوة للتعاون الدولى فى مجالات القضاء على الفقر ، التحكم فى التسلح ، التنمية القابلة للإدامة وتحسين الأوضاع الاقتصادية فى الجنوب . وأبرز دور إيران كعنصر استقرار وأمن وتعاون فى المنطقة . وحرص على الإشارة إلى تحويل الصناعات العسكرية إلى أغراض مدنية ، والتركيز على التنمية الاقتصادية والثقافية والاجتماعية فى إيران ، وعلى جهودها للوساطة فى كل من أفغانستان وتاجكستان^(٩).

ثانيا : تحليل خلفيات أحداث ١٩٩٣ و ١٩٩٤ :

شهدت الشهور الأخيرة من عام ١٩٩٣ والشهور الأولى من عام ١٩٩٤ تطورات متلاحقة لم تضف بالضرورة إلى رصيد مسيرة الاعتدال والبراجماتية التى كانت الرئاسة الإيرانية تود إبرازها سابقا :

١ - مسألة العدالة الاجتماعية :

زاد التركيز على مسألة العدالة الاجتماعية خلال تلك الفترة - بها في ذلك في الصحافة الرسمية . وزادت التقارير حول الظروف الاقتصادية والاجتماعية الصعبة للطبقات الاجتماعية الدنيا والوسطى في إيران ، والإشارات إلى ازدياد الفساد والسلوك الاستهلاكي الذي تسبب فيه جزئياً تحرير الاستيراد .

وجاء إفقار الطبقات الشعبية مقابل الإثراء المتزايد للبازار كإحدى نتائج سياسات التحرير الاقتصادي ، وتزايد التضخم وتخفيض دعم السلع الأساسية . واستغل الراديكاليون هذه التطورات للإعراب عن الأسف لغياب القيم الثورية وأعربوا عن قلقهم تجاه التأثيرات الاجتماعية والثقافية السلبية لسياسات الانفتاح الاقتصادي خاصة انتشار المخدرات والانحلال الاجتماعي ، مما دعا إلى انحدار القيم الدينية . وأعرب هؤلاء عن الأسف لاستبدال الشعارات الثورية في الشوارع وعلى الجدران بإعلانات تجارية ، ولتزايد أعداد رجال الأعمال الذين يركبون سيارات المرسيدس والكاديلاك الفارهة . ودعوا بالمقابل إلى اقتصاد مخطط والاكتفاء الذاتي وسياسة إحلال الواردات وإلى إنهاء التبعية على النفط . كما دعا رجل دين بارز هو آية الله جناتي الشباب الإيراني إلى عدم ارتداء الأزياء التي تحتوي على شعارات « فاسدة » واستبدالها بشعارات سياسية ثورية . وقد أدى ارتفاع معدلات التضخم والبطالة كذلك إلى تظاهرات واضطرابات عمالية^(١٠) .

٢ - الوضع الاقتصادي :

تزامن الوضع الاجتماعي الذي سبقت الإشارة إليه مع تزايد اعتماد إيران على تسهيلات تمويلية خارجية لتمويل استيراد سلع استهلاكية أساسية وسعى إيران إلى إعادة جدولة ٥ بلايين دولار من ديونها - نتيجة عجزها عن خدمة ديونها لمدة حوالي ١٨ شهر - التي يغلب عليها أن جزءاً كبيراً منها ديون قصيرة الأجل - بعد أن تمكنت من إعادة جدولة ٥, ٣ مليار دولار عام ١٩٩٣ . ويركز المسعى الإيراني على أن تتم إعادة الجدولة بشكل ثنائي مع اليابان وفرنسا وألمانيا لتجنب اللجوء إلى صندوق النقد الدولي ، والذي تعتقد إيران في سيطرة الولايات المتحدة عليه . بل إن إيران اتهمت الولايات المتحدة بعرقلة جهود إعادة الجدولة الثنائية بغرض ممارسة ضغوط على إيران . وقد أدى فتح باب الاستيراد في إيران إلى استنزاف لمواردها ، كما أن تقييد استيراد السلع

بعد ذلك أدى بدوره إلى نقص في مدخلات التصنيع المحلي ، مما زاد من معدلات البطالة والتوترات الاجتماعية .

كما أدى انخفاض عائدات النفط وتزايد عجز الموازنة إلى ٨ بلايين دولار، ومشكلات ميزان المدفوعات ، وتدنى سعر الصرف للريال الإيراني ، إلى معاودة البرلمان الإيراني النظر في الميزانية الجديدة لعام ١٩٩٤ وتوقع انخفاضها بمقدار ١٠٪ نتيجة فقدان ٣,٥ بليون دولار بسبب انخفاض أسعار النفط . وأشارت هذه التطورات بوضوح إلى أخطاء ، بل ومظاهر فشل في سياسة الرئيس رفسنجاني الاقتصادية ، رغم أن الرئيس وأنصاره أشاروا إلى عوامل اجتماعية وأيديولوجية وسياسية تعيق سياستهم الإصلاحية . ولمواجهة تلك المعوقات كان الرئيس الإيراني قد أعلن عن عزمه على تحجيم الامتيازات الممنوحة لأسر شهداء الثورة والحرب مع العراق ، بما في ذلك المعاشات والخدمات الصحية والتعليمية . وكان الرئيس الإيراني قد فشل في رفع أسعار الخبز بسبب اندلاع التظاهرات ضد هذا القرار وتدخل آية الله خامنئي مرشد الثورة لإيقاف تطبيقه^(١١) .

وقد تحدثت صحيفة طهران تايمز شبه الرسمية في افتتاحيتها في ١١ أكتوبر ١٩٩٣ عن وجود فسادين مالي وإداري بإيران ، وحذرت من خطرهما على الثورة . كما أقرت الصحيفة بوجود مصاعب اقتصادية ، ولكنها حثت شركاء إيران التجاريين على مواصلة التعاون معها معتبرة أن الصعوبات هي ظاهرة مؤقتة .

وحاولت الصحافة الإيرانية الرسمية الإشارة المتكررة خلال تلك الفترة إلى سوء الأوضاع الاقتصادية في إيران قبل الثورة ، والتحديات التي فرضت على الثورة في هذا الإطار ، وكذلك إلى العزلة بين الفقة الشيعي ومشكلات الدولة قبل الثورة . وانطلقت من هناك إلى إبراز أن ١٥ عاما من الثورة ليست فترة كافية لتحقيق الثورة أهدافها في كل المجالات . ونفت تلك الصحافة أن تكون الثورة الإيرانية قد ادعت أنها أقامت بالفعل المجتمع الإسلامي المثالي^(١٢) . ويمكننا النظر إلى هذه المقالات باعتبارها محاولة لإحياء أو تنشيط حماس الشعب الإيراني - خاصة الشرائح الاجتماعية الدنيا - للثورة .

٣- الحالة السياسية الداخلية :

يجدر بنا أن نتذكر أن الرئيس رفسنجاني كان هو الذي ساعد في حصول اليمين الإسلامي على غالبية مقاعد البرلمان في انتخابات أبريل/ مايو عام ١٩٩٢ . وعمد إلى التخلص من مناوئيه الراديكاليين مثل حجة الإسلام علي أكبر محتشمي وزير الداخلية

السابق . وهدف من وراء ذلك إلى تأمين الدعم لسياسته للانفتاح الاقتصادي ، خاصة أن مرشد الثورة سيد على خامنئي كان يبدو مؤيدا للاتجاهات الليبرالية الاقتصادية للرئيس رفسنجاني . إلا أن مؤيدي الليبرالية الاقتصادية في البرلمان كانوا أيضا أصحاب توجهات محافظة في المجالين الاجتماعي والثقافي ، وبالتالي مناقضين لتوجهات الرئيس ذات السمة الليبرالية أيضا في هذين المجالين ، وطالبوا بتدخل الدولة « لضبط » سلوك الأفراد ، وللحفاظ على الأخلاقيات العامة . بل إن هذا البرلمان وهو مشابه جدا للبرلمان الذي انتخب في مارس ١٩٩٦ - وعلى عكس ما كان متوقعا - رفض عددا من ترشيحات الرئيس رفسنجاني لعدد من الحقائق الوزارية بمن في ذلك محسن نورباخش لمنصب وزير الاقتصاد ، مما اضطر رفسنجاني إلى تعيينه نائبا للرئيس بصلاحيات الإشراف على الاقتصاد . وتزامن ذلك من جهة مع تزايد نفوذ رجال الدين ذوي التوجهات المحافظة ، خاصة في الحوازات العلمية بقم ، وهم حملة السلطة الدينية التقليدية ، وليسوا فقط معادين لليسار ، بل أيضا لديهم قلق تجاه أى نزعة تغييرية ، ومن جهة أخرى مع عودة بروز رموز راديكالية تعارض من الأصل برنامج الليبرالية الاقتصادية مثل رئيس الوزراء السابق ميرحسين موسوى . ولايفوتنا هنا أن نذكر أن رجل الدين البارز آية الله محمد يازدى قد تعرض في أكتوبر عام ١٩٩٣ لتقديم تعريف « تقييدى » لمدى الحرية في إطار النظام الإسلامى معلقا على محاكمات جرت لصحفيين في مجلة « فرض » الإيرانية . وتضمن هذا التعريف تحريم إثارة « مسائل خلافية » في الصحافة (١٣) .

٤ - العلاقات الخارجية :

عانت إيران خلال عامى ١٩٩٣ و ١٩٩٤ من عدد من المشكلات ظهرت بشكل متزامن - أو متقارب - فيما يتصل بعلاقاتها مع بقية دول العالم . فقد تدهورت العلاقات مع تركيا فجأة بعد قصف الطيران الحربى التركى لأراضى إيرانية في إطار مطاردة الجيش التركى لقواعد حزب العمال الكردستانى . وجاء ذلك أيضا على خلفية اتهامات تركية سابقة لإيران بدعم حزب العمال الكردستانى المعارض تنظييات إسلامية تتبنى العنف في تركيا . ثم برزت أزمة مع الأردن على إثر طلب الأخيرة من إيران سحب ٢١ من أصل ٢٦ دبلوماسيا إيرانيا بعمان . ورغم الرد الإيرانى الهادئ على هذا الإجراء فقد أعاد إلى الواجهة تقارير حول شكوك أردنية في ارتباط إيران بتفجيرات دور سينما في عمان ، واغتيال دبلوماسى أردنى في بيروت . وهو ماعزز اتهامات دول إسلامية أخرى حينذاك

- خاصة مصر والجزائر - لإيران بالتدخل في شئونها الداخلية من خلال دعم تنظيمات إسلامية متشددة تتبنى العنف السياسى رغم نفى مسئولين إيرانيين رسميين لهذه الاتهامات . وتلا ذلك ظهور اتهامات من قبل الرئيس الأفغانى ربانى لإيران بدعم محور رئيس الوزراء قلب الدين حكمتيار / والجنرال الشيوعى السابق عبد الرشيد دستم المناهضين له ، رغم نفى تلك الاتهامات أيضا من قبل إيران . كذلك واجه عرض إيران بالتوسط بين الهند وباكستان لحل نزاع كشمير رفض الهند بسبب اعتبار الهند مسألة كشمير مسألة داخلية ، ولقلقها تجاه الموقف الإيرانى حول هذه المسألة الذى اعتبرته قريبا من موقف باكستان . إلا أن الأبرز في مجال تدهور علاقات إيران الخارجية جاء في إطار إحياء الخلاف حول فتوى آية الله الخمينى بإحلال دم سلمان رشدى . فقد أعاد الباسدران (الحرس الثورى) تأكيد صحة الفتوى واعتبرها غير قابلة للنقض . ثم ذكر تعليق لوكالة أنباء الجمهورية الإسلامية (انا) أن رشدى يجب أن يقتل - حتى ولو أعلن توبته - وأنكرت كون الفتوى بإحلال دمه أمرا سياسيا بل اعتبرتها مسألة دينية محضة . ثم جاء إعادة تأكيد مسئول إيرانى رسمى آخر باستمرار صحة فتوى آية الله الخمينى في ١٤ فبراير عام ١٩٩٤ ، على لسان محمد جواد لارىجانى رئيس لجنة العلاقات الخارجية بالبرلمان حينذاك ، ردا على دعوة رئيس الوزراء البريطانى جون ميجور لإيران بإلغاء هذه الفتوى ، وذلك في الذكرى الخامسة لإصدارها - مذكرا بما سببته هذه الفتوى من ضرر للعلاقات الإيرانية / الغربية . وقد عاد رئيس البرلمان حينئذ على ناطق نورى ليؤكد واجب كل مسلم بقتل سلمان رشدى وتنفيذ الفتوى ، وإن دعا الدول الغربية لعدم جعل هذه الفتوى تضر بعلاقاتها مع إيران . وقد ردت الخارجيتان الأمريكية والنرويجية بإدانة هذه التصريحات . ونذكر أنه قد سبق ذلك استقبال كل من الرئيس الأمريكى كلينتون ورئيس الوزراء البريطانى ميجور في مراحل سابقة لسلمان رشدى ، وإدانة إيران للقاءين وتصريح رئيس المحكمة العليا آية الله يازدى في ٢٦ نوفمبر عام ١٩٩٣ الذى هاجم كلينتون واتهمه بالجهل لاستقباله رشدى . كذلك شاب العلاقات مع سويسرا بعض التوتر من جراء اعتقاد السلطات السويسرية بتورط إيران في عملية اغتيال د . كاظم رجوى شقيق زعيم منظمة مجاهدى خلق إيران المعارضة في كوييه بسويسرا عام ١٩٩٠ ، واحتجاج سويسرا على تسليم فرنسا المتهمين الرئيسيين في القضية إلى إيران^(١٤) .

ثالثا أحداث ١٩٩٤ وأبعادها :

١ - أحداث مدينة زاهدان :

كانت قد سرت في مدن شمال شرق وجنوب شرق إيران ذات الوجود السنّي المكثف روايات عن تدمير السلطات الإيرانية لمسجد سنّي في مدينة مشهد . وكانت مدينة مشهد قد شهدت اضطرابات عام ١٩٩٢ أدت إلى مصرع ٩ أشخاص ، واتهمت قوات الأمن بالتسبب في التصعيد كما كان قد تم إغلاق مسجد سنّي بمدينة زاهدان .

وفي بداية عام ١٩٩٣ توفي رجل الدين السنّي البارز أحمد زاده عقب اعتقاله من قبل السلطات الإيرانية ، واتهم بعض الإيرانيين السنة السلطات الإيرانية بدس السم لزادة . وقد أدت هذه الروايات في زاهدان في جنوب شرق إيران إلى خروج تظاهرات هاجمت مباني حكومية وسيارات عسكرية ، مما أدى إلى مصرع اثنين من رجال الأمن وإصابة ٣٠ مدنيا . وهاجم مسلحون حافلة مما أدى إلى مصرع ٤ واختطاف ٣ عسكريين خاصة بعد نفى زعيم سنّي في زاهدان هو مولاي عبد الحميد اتهامات الحكومة الإيرانية قوى أجنبية وخارجية بالتسبب في تدمير مسجد « فيض » السنّي . كما أثارت تصريحاته تظاهرات في زاهدان وخاش وإيران شاه . وتلا ذلك قيام قوات الأمن باعتقال مسلحين واتهامهم بالاضطلاح بعمليات تهريب مخدرات عبر إيران إلى أوروبا وهجوم الحرس الثوري على مسجد سنّي بالمدينة في محاولة لاعتقال بعض المصلين المتهمين بإلقاء خطب معادية للثورة خلال الصلاة . وأثار ذلك حفيظة السنة أكثر . ثم هاجم مسلحون اتهمتهم السلطات الإيرانية بأنهم لصوص - قافلة قرب زاهدان مما أدى إلى مقتل ٤ أشخاص .

وقد ربطت السلطات الإيرانية بين هذه الأحداث ، وبين المخابرات المركزية الأمريكية ، والمخابرات الإسرائيلية (الموساد) - وهو أمر درجت هذه السلطات على اللجوء إليه في السابق في حالة حدوث قلاقل داخلية ، أو مظاهر معارضة . كما ربطت بين تلك الأحداث وما أسمته بمحاولات تسميم جو الاحتفالات بالعيد الخامس عشر للثورة الإيرانية . كذلك ربطت بين تلك الأحداث وبين المهربين الذين أغضبهم تشديد الإجراءات الأمنية على الحدود الشرقية لإيران . وفسرت إحراق المسجد السنّي في مشهد بأنه محاولة لإحداث فتنة طائفية في إقليم خراسان .

وقد ارتبط السنة في هذه المناطق من إيران تقليديا بباكستان وأفغانستان ، نظرا لارتباط التاريخي بالبلوش . كما أن المعارضة السنية في إيران لها ممثلون في بيشاور

بباكستان واتصالات مع بعض فئات المجاهدين الأفغان خاصة الحزب الإسلامي بزعامة رئيس الوزراء قلب الدين حكمتيار ، بل وتلقت بعض عناصرها المسلحة تدريبا في معسكرات الحزب الإسلامي . وكان هذا سببا عام ١٩٨٤ في حدوث أزمة بين إيران وحكمتيار وإغلاق مكاتب الحزب الإسلامي في طهران . كما ظهرت اتهامات غير رسمية بعد أحداث زاهدان عامي ١٩٩٣ و ١٩٩٤ موجهة لحكمتيار بأنه يشجع الاضطرابات في إقليم بلوشستان وسستان وتشجعها على الانفصال عن إيران ويزود عصابات تهريب المخدرات هناك بالسلاح . وربما كان اتهام حكمتيار بدعم المعارضة السنية المسلحة في إيران أحد أسباب تحفظ إيران على دعم خطة السلام التي عرضها حكمتيار في فبراير عام ١٩٩٤ بشأن أفغانستان ، وذلك على الرغم من زيارة حكمتيار السابقة لإيران في نوفمبر عام ١٩٩٣ .

كما تلقى عدد كبير من أبناء المعارضة السنية السياسية والمسلحة في إيران تعليمهم في باكستان . وأشارت بعض التقارير الصحفية إلى أن عددا من هؤلاء أيضا كان قد تلقى تدريبات وتمويلا من العراق في مرحلة سابقة (١٥) .

وقد حرصت السلطات الإيرانية على إخراج تظاهرات شعبية في كل من زاهدان ومشهد لإعلان التأييد للثورة الإيرانية قادها رجال دين هناك (١٦) .

ومع إدراكنا بأن أحداث زاهدان وغيرها من مدن شمال شرق وجنوب شرق إيران كان لها أبعاد اجتماعية وطائفية وعرقية ، خاصة فيما يتصل بالسنة الذين يشكلون حوالي ١٠٪ من سكان إيران ، فإن هذه الأحداث قد شكلت تحديا لمصدقية ادعاء النظام الحاكم في إيران بأنه يركز على حكم إسلامي لا يفرق بين السنة والشيعة . وجاء ذلك متزامنا مع تأكيد الراديكاليين الشيعة على وجودهم من خلال الاحتفالات في فبراير عام ١٩٩٤ بذكرى ميلاد الإمام الثاني عشر ، وتكثيف العلاقات مع شيعة العراق ولبنان ودول الخليج العربية ، وهي دول تنظر بقلق لهذه الأنشطة الإيرانية . كذلك اتجه أولئك الراديكاليون الشيعة إلى التركيز على الطبيعة الشيعية للثورة الإيرانية . وعقد في هذا الإطار مؤتمر حول الفقه الإسلامي لأهل البيت ارتكزت المشاركة فيه على الحوزات الشيعية من مختلف دول العالم . وتزامن ذلك أيضا مع عقد مؤتمر حول التقاليد الأدبية واللغوية الفارسية دعيت إليه الجمهوريات الإسلامية المستقلة في آسيا الوسطى (١٧) .

ورغم تحدث البعض عن تقسيم السيطرة بين مختلف الجماعات العرقية في إيران : سيطرة الفرس على الحكومة ، والأتراك (الازاريين) على الاقتصاد ، مع منح بعض

المناصب الهامة في الجيش والحرس الثوري (الباسدران) والسلطة التنفيذية لممثلين للأقليات خاصة الأقليتين التركية والعربية ، فإن موقف الأقليات بصفة عامة يتسم بعدم الرضا خاصة البلوشستان والسستان والكرد ، وأيضا عرب خوزستان . وضمن أسباب ذلك عدم اعتراف الدستور الإيراني بالأقليات العرقية . وكان تقرير سابق للمجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني قد اقترح منح مزيد من السلطات للأقاليم وتعيين قيادات هذه الأقاليم من بين سكانها الأصليين^(١٨) .

وقد ربط بعض المراقبين بين أحداث زاهدان وبين اختفاء رجل الدين المسيحي الإيراني القس هالك هوسبيان مهر- والذي سرت شائعات بأنه تم اختطافه - ثم اكتشاف جثته بواسطة السلطات الإيرانية عقب اختفائه بأسبوعين . وكان القس مهر يتزعم طائفة بروتستانتية ، وسبق له المطالبة بحرية التعبير في إيران . كما ذكرت أسرته أنه شعر بخطر على حياته بعد جهوده لجذب اهتمام المجتمع الدولي لحالة قس آخر تحول من الإسلام إلى المسيحية . وقد تبادلت منظمة مجاهدي خلق المعارضة والحكم الإيراني الاتهامات بتصفية مهر^(١٩) .

٢- محاولة اغتيال الرئيس رفسنجاني :

جرت محاولة الاغتيال خلال إلقاء الرئيس رفسنجاني خطابا أمام قبر آية الله الخميني في الذكرى الخامسة عشرة لوصول الخميني إلى طهران في أول فبراير ١٩٩٤ . وذكر المتهم الأول في محاولة الاغتيال في البداية أنه لم يهدف من وراء إطلاق النار إلى اغتيال رفسنجاني ، بل إلى مجرد إثارة الذعر بين المستمعين عاليا ، ثم تحولت اعترافاته للكشف عن محاولة الاغتيال . وقد أثارت محاولة الاغتيال رد فعل أساسيا تمثل في إحياء الخطاب الثوري الذي ظن البعض أنه كان قد غرب زمانه . فقد اتهم القائمون بالاعتداء بأنهم عملاء قوى استكبارية دولية - مع إشارة خاصة إلى المخابرات المركزية والموساد - وذلك كما حدث تجاه أحداث زاهدان السابق الإشارة إليها . وتم تعبئة مئات الآلاف في الشوارع وفي ميدان آزادي (الحرية) بطهران ، بمن في ذلك العاطلون عن العمل وعائلات شهداء الثورة والحرب مع العراق ضد ما أسمته أجهزة الإعلام - خاصة الإذاعة والتلفزيون - بالمؤامرة الأمريكية ضد الإسلام . وتم دفع هؤلاء المتظاهرين لإطلاق شعارات ضد إسرائيل وضد الولايات المتحدة وللإعراب عن رفضهم لاية تسوية مع من أسموهم بأعداء الثورة و « المنافقين » (في إشارة إلى منظمة مجاهدي خلق إيران المعارضة) . وتم الربط بين محاولة الاغتيال وأحداث زاهدان واعتبارهما نتيجة

لعدوان خارجي ومؤامرة غربية . كذلك تحدث وزير الاستخبارات على فلاحيان عن القبض على ٤٠ جاسوسا عراقيا دخلوا إيران منذ مارس عام ١٩٩٣ و ١٠ آخرين اتهموا بتدبير انفجارات . وأشار إلى تهريب ٢٤ قنبلة إلى داخل إيران تم تفجير أربع منها . وذكر فلاحيان أن أحد المتهمين العشرين في محاولة الاغتيال كان على اتصال بسفارة أجنبية ، وذلك لإلقاء تبعة العملية على قوى أجنبية . إلا أن جهات أمنية أخرى في وزارة الداخلية نفت وجود أدلة على تورط قوى خارجية في محاولة الاغتيال ، مما أوحى بوجود صراع داخلي فيما بين مختلف أجهزة الأمن الإيرانية .

وقد أعلنت مجموعة سرية أطلقت على نفسها اسم « الضباط الأحرار في الحرس الثوري » مسؤوليتها عن محاولة الاغتيال . ولم تكن تلك هي أول محاولة اغتيال ضد الرئيس رفسنجاني . فقد سبق إصابته في انفجار عام ١٩٨١ الذي اتهمت به منظمة مجاهدي خلق ، كما أن نفس المجموعة المكونة من ٢٠ شخصا التي اعتقلت عقب محاولة الاغتيال في فبراير ١٩٩٤ قد اعترفت بأنها قد حاولت اغتيال الرئيس عدة مرات بعد توليه الرئاسة منها مرة خلال إمامته لصلاة الجمعة بحرم جامعة طهران ، إلا أنها لم تقدم على التنفيذ . وكانت هذه المجموعة قد أعلنت قبل ذلك سبعة شهور عن اشتباكات بين عناصرها وعناصر من الاستخبارات الإيرانية . كذلك اتضح أن منظمة سرية أخرى باسم « بابك الخرمي » قد حاولت قبل ذلك بعام اغتيال الرئيس رفسنجاني خلال مرور مركبه بأحد شوارع طهران^(٢٠).

وقد نفت السلطات الإيرانية أن يكون المتهم الأول في محاولة الاغتيال عضوا في الحرس الثوري ، وإن ذكرت أنه حاول الانضمام إليه في السابق عدة مرات دون جدوى . وتم اتهام المجموعة بأنها من المنحليين أخلاقيا ومدمنى المخدرات ، وبالارتباط بجماعات يسارية ، وما يسمى « بالإرهابيين اليساريين » المواليين للولايات المتحدة ، وهي اتهامات كانت توجه لجماعات معارضة في السابق كمجاهدي خلق إيران . وتم اتهام المجموعة التي قامت بمحاولة الاغتيال بالعداء للإسلام والثورة . ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أن صحيفة « سلام » المقربة من المتشددین أثارت شكوكا حول مصداقية محاولة الاغتيال ضد الرئيس رفسنجاني ، في إشارة ضمنية إلى أن هذه المحاولة من تدبير أنصار الرئيس بغرض زيادة شعبيته^(٢١).

وجاء رد فعل الرئيس رفسنجاني تجاه محاولة الاغتيال مثيرا للاهتمام ، فقد ألقى خطابا يتصف بقدر من التشدد أمام مئات الآلاف من الإيرانيين في ميدان آزادي (الحرية)

بـطهران في ١١ فبراير عام ١٩٩٤ مدينا ما أسماه بعدوان القوى الأجنبية ضد الجمهورية الإسلامية ، وهاجم « إمبريالية » وسائل الإعلام الغربية التي اتهمها بالترويج لأكاذيب عن الوضع الداخلي في إيران . وأكد أن إيران لاتدعم الإرهاب ، بل هي ضحية له ، واتهم الغرب بازدواجية المعايير والحديث عن حقوق الإنسان مع تجاهل انتهاكها في البوسنة والهرسك وفي فلسطين ، مشيراً إلى رفض الغرب عرض إيران إرسال ١٠ آلاف جندي إلى البوسنة . وألقى على القوى الأجنبية والمؤامرة الغربية مسئولية المشكلات الاقتصادية التي تواجهها إيران ، ومسئولية انخفاض سعر النفط ، وأشار رفسنجاني إلى انخفاض اعتماد إيران على النفط وتحقيقها الاكتفاء الذاتي في الغذاء و ٩٠ ٪ من السلع الاستهلاكية ، وكل مدخلات الإنتاج المحلي ، بما يجعلها لا تحتاج للعالم الخارجي . وأطلق رفسنجاني - وكذلك إمام جمعية طهران - على القائمين بمحاولة الاغتيال ضده لقب عملاء القوى الاستكبارية الكبرى التي تهدف للنيل من الوحدة الوطنية للشعب الإيراني . وأعاد تأكيد استعداد إيران لدفع ثمن حريتها واستقلالها . وفي مناسبة لاحقة أكد الرئيس رفسنجاني نية إيران في الحصول على أسلحة متقدمة ، رغم ما أبدته دول غربية من قلق تجاه المشتريات العسكرية الإيرانية ورغم أنه - خلال لقائه مع السفراء الأجانب في طهران في ١٠ فبراير عام ١٩٩٤ - أكد حرص إيران على تطوير علاقات صداقة وتعاون مع كافة دول العالم - باستثناء الولايات المتحدة وإسرائيل - وسعى إيران لحل كافة المشكلات العالقة في المنطقة أو في العالم ، وتركيزها على إعادة البناء ومشروعات البنية الأساسية والطاقة والكهرباء والزراعة وتقليل اعتمادها على النفط . ولكنه جدد في هذا اللقاء مع السفراء الهجوم على الولايات المتحدة وإسرائيل بقوة . كما عدل رفسنجاني عن مطالبه بتخفيض الامتيازات الممنوحة لعائلات شهداء الثورة والحرب مع العراق ، والتقى بممثلي عائلات الشهداء ، واعتبرهم ركيزة الثورة وحراس إنجازاتها . وأعرب عن التقدير لتضحياتهم ، وأن الثورة لن تنسى ما قدموه (٢٢) .

وشهدت نفس الفترة تصعيد إيران دورها في الخليج ، فقامت بمناورات عسكرية ضخمة في الجزء الشمالي من الخليج في ١٥ فبراير عام ١٩٩٤ . وبدأت إذاعة طهران الحديث عن تبنى موقف متشدد إزاء جزيرة أبو موسى المتنازع عليها مع دولة الإمارات العربية المتحدة ، وأسمتها جزيرة إيرانية جنوبية . كما أن شخصية إيرانية معتدلة مثل الدكتور علي أكبر ولاياتي وزير الخارجية قد انتقد العقوبات الأمريكية المفروضة ضد إيران . كما هاجم أمين المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني الولايات المتحدة في خطاب له بمدينة قم في الأسبوع الأول من فبراير عام ١٩٩٤ ، وانتقد النظام الدولي

أحادى القطبية ، مشيراً إلى فشل السياسة الأمريكية . واتهم الولايات المتحدة بمحاولة الوقيعة بين إيران ودول أوربية واليابان . ورحب بانخفاض أسعار النفط في السوق العالمى باعتباره يدفع إيران إلى إنهاء التبعية للنفط ، وزيادة الصادرات غير النفطية ، إلا أنه تحدث بشكل إيجابى عن العلاقات مع السعودية . وعاد بعض رجال الدين للإشارة إلى أن عودة العلاقات مع الولايات المتحدة ستزيد المشكلات الداخلية لإيران واعتبروا حل الموضوعات المختلف عليها مع الولايات المتحدة من المستحيلات^(٢٣) .

٣- بروز نجم وزير الداخلية بشارتى فى تلك الفترة :

جاءت أحداث زاهدان ومحاولة اغتيال الرئيس رفسنجانى فى وقت كان وزير الداخلية الإيرانى على محمد بشارتى المؤيد للرئيس ، والمعروف حينذاك باعتداله يدعم فيه سلطاته على أجهزة الأمن . وكان قد أقسم على محاربة الفساد فى صفوف قوات الأمن ، وسعى إلى توحيد مختلف أجهزة الأمن تحت مظلة وزارته ، فيما فهم أنه إشارة إلى تلك الوحدات التى تدين بالولاء المباشر لقائد الثورة ومرشدها آية الله خامنئى - مستغلاً فى ذلك وجود نفوذ له فى صفوف الحرس الثورى (الباسد ران) . وقد طالب بشارتى قوات الأمن باحترام ثقافة الشعب الإيرانى . وجاءت تلك الدعوة عقب وفاة امرأة إيرانية فى طهران نتيجة شجار دار بينها وبين أحد أعضاء اللجان الثورية الإيرانية بخصوص زى المرأة . وقد سبق ذلك تعيين الرئيس رفسنجانى بشارتى رئيساً لمجلس أمن الدولة ، كما عهد إليه بمهام خارجية ، خاصة فيما يتصل بلبنان والاتصالات مع حزب الله . وقد وجد بشارتى نفسه فى موقف التصادم مع وزارات أخرى فى إطار محاولته لتعزيز سلطاته وتوسيع نطاقها - خاصة مع وزير الاستخبارات فلاحيان الذى كان مسئولاً من قبل عن الأمن الداخلى . ورغم أن محاولة الاغتيال ربما كانت مبرراً لتوجيه الانتقاد لوزارة الداخلية وقصور أجهزتها الأمنية ، فإنه تم استخدامها لتعزيز سلطات تلك الأجهزة ، خاصة أن محاولات اغتيال سابقة ضد شخصيات قيادية فى الحكم قد استخدمت كمبررات لإحكام سيطرة الحكم وتصفية المعارضين بوصفهم أعداء الله والإسلام . وبالفعل ، فقد زاد الوجود الأمنى فى زاهدان وجنوب شرق إيران عقب أحداث زاهدان تحت شعار مكافحة تهريب الأسلحة والمخدرات^(٢٤) .

٤ - استبدال شقيق الرئيس بعلى لارىجانى فى رئاسة هيئة البث والإرسال الإيرانية :

كان قرار مرشد الثورة آية الله خامنئى فى ١٣ فبراير عام ١٩٩٤ باستبدال محمد

هاشمى - شقيق الرئيس رفسنجانى - فى رئاسة هيئة البث والإرسال الإيرانية التى تدير الإذاعة والتلفزيون على لاريجانى وزير الثقافة والإرشاد الإسلامى وشغل منصب الأخير بواسطة مصطفى مير سالم حلقة جديدة فى إطار التغييرات الحكومية ذات الطبيعة السياسية فى إيران . . ومن الشائع أن لاريجانى معروف بأنه من المقرين لآية الله خامنى وأنه من المحافظين فى المسائل الثقافية . وكان من قبل مسئول الاستخبارات بالحرس الثورى وله خبرة فى مجالات الأمن والرقابة ، مما نبأ بالتوجه الجديد لهيئة البث والإرسال الإيرانية . كما عرف عنه تحريم عمل النساء كسكرتيرات فى وزارة الثقافة خلال توليه حقيبتها ، والفصل بين الرجال والنساء فى مكاتب الوزارة .

وكان هاشمى قد دافع فى الماضى عن وظيفة ترفيهية - وليس مجرد دينية - للإذاعة والتلفزيون . وفى ديسمبر عام ١٩٩٣ ، أدخل محطة تلفزيون ثالثة تبث برامج موسيقية ومسرحية ورياضية بغرض ترفيهى مؤكداً أن البرامج الترفيهية لا تجذب الشباب بعيداً عن الإسلام . واعتبر ذلك استجابة لتوجيهات للرئيس رفسنجانى بأن الشباب يحتاج إلى الترفيه بجانب التوجيه الدينى . وكان الرئيس رفسنجانى قد سمح للنساء بالغناء فى إطار فرق الغناء الجماعى ، كما سمح بفتح أندية فيديو خاصة فى مارس عام ١٩٩٣ ، مبرراً ذلك بمحاربة تجارة السوق السوداء فى شرائط الفيديو الغربية ، وهما قراران أثارا حفيظة اليمين الإسلامى المحافظ .

وكان تقرير لجنة برلمانية ضمت عضوين من المقرين لمرشد الثورة خامنى قد هاجمت هاشمى متهماً إياه بالترويج للقيم والثقافة الغربية من خلال برامج التلفزيون ، كما اتهم أعضاء البرلمان هذه البرامج بأنها ضد الثورة وغير ذات صلة بالإسلام . وانتقد التقرير هاشمى لسماحه لعناصر من المعارضة باختراق جهاز التلفزيون الإيرانى . وكان الرئيس رفسنجانى قد أوكل إلى شقيقه بعض المهام فى إطار إجراء اتصالات خارجية مثل زيارته لألمانيا فى سبتمبر عام ١٩٩٣ (٢٥) .

وقد أشار آية الله خامنى نفسه إلى أوجه قصور فى أداء الإذاعة والتلفزيون فى خطاب إقالته لمحمد هاشمى ، ومنح بالمقابل الرئيس الجديد للهيئة سلطات إضافية ، ودعا لجعل الهيئة قاعدة للدعاية الثقافية ضد الاستكبار والقهر ومواجهة الحملات المعادية للثورة الإسلامية والمسلمين عبر العالم . وكذلك دعا للتقارب مع المدارس القرآنية ، وسمح له بإذاعة الموسيقى التقليدية الإيرانية فقط ، واعتبر ما دون ذلك من أنواع الموسيقى « حراماً » و « مفسدة » . وتم توقع تصاعد النغمة المعادية للثقافة الغربية -

وربما الغرب بصفة عامة - في وسائل الإعلام الإيرانية . كما تم توقع فرض مزيد من الرقابة على تلك الأجهزة (٢٦) .

ويمكن تغيير قرار الاستبدال هذا كانتزاع لأجهزة البث والإرسال الإعلامى من الرئيس رفسنجانى ، علما بأن هذه الأجهزة هى الذراع الأساسية للدعاية للحكم ، ويعتبر بالتالى ضربة جديدة من اليمين الإسلامى المحافظ للرئيس رفسنجانى ودليلا على تصاعد سلطات آية الله خامنى بالمقارنة بالرئيس رفسنجانى .

٥ - تصاعد التذمر في صفوف رجال الدين في قم :

في وقت صعد فيه الراديكاليون غير الدينيين من انتقاداتهم لتراكم ثروات بعض رجال الدين من وراء مؤسسات الشهداء والمستضعفين ، واعتبروا ذلك دافعا لعدد متزايد من المسلمين للتراجع عن ممارسة شعائر الإسلام - بل وحتى عن الإيذان بالإسلام - اتهم عدد من كبار رجال الدين الثورة بسلب سلطاتهم واستقلالهم الدينى والسياسى لصالح الحكومة المركزية التى يسيطر عليها بعض ممثلى الشرائع الصغرى أو الوسطى من رجال الدين . كما أن وجود آية الله منتظرى - الخليفة السابق لآية الله الخمينى في قم وتحول المدينة منذ ربيع عام ١٩٩١ - حين وجه الرئيس العراقى صدام حسين ضربة إلى مدينة النجف - إلى مركز السلطة الروحية الشيعية ، وبروز منتظرى بدوره كمؤهل لتولى سلطات دينية أرفع . أدى إلى ظهور القلق على مرشد الثورة خامنى الذى سعى إلى فرض سيطرته على الحوزات العلمية في قم . وكان قد دعا في خطاب وجهه إلى مدرسى تلك الحوزات في أكتوبر عام ١٩٩٢ إلى ارتباط الحوزات بالدولة ، مشبها إياها بحالة الأزهر الشريف في مصر ، وهو أمر يعتبر بدعة في الحالة الشيعية ، نظرا لتاريخ استقلال مؤسسة رجال الدين عن الدولة . وقد أثارت رسالة خامنى مخاوف وردود فعل سلبية من جانب عدد من الملالى نتيجة قلقهم من هيمنة الدولة على الحوزات . ورد آية الله منتظرى بالتحذير من أن يكون مصير حوزات قم كجامعة دينية مماثلا للجامعات الدينية في العالم السنى التى فقدت استقلالها وتحول المدرسون فيها إلى موظفى حكومة ، وتحولت إلى تبرير ممارسات السلطة السياسية في تلك البلدان (٢٧) .

إلا أن آية الله يازدى - رئيس المحكمة العليا حينئذ - قد طالب عقب وفاة آية الله قليباجانى العظمى عام ١٩٩٤ بجعل آية الله خامنى المرجع الوحيد للتقليد لكافة الشيعة . وقد أيد وجهة النظر تلك رئيس البرلمان (المجلس) حينذاك على نورى . وعلى الجانب الآخر ، استعدت تلك التصريحات آية الله جناتى - عضو مجلس الأوصياء - وآية

الله امينى وكلا من جمعية مدرسى الحوزات العلمية بقم ، وجمعية أئمة الجمعة بطهران ، وآية الله مشكينى إمام جمعة قم ، ودفعتهم إلى إعلان تأييدهم لآية الله محمد اراكى ليتبرأ درجة آية الله عظمى . ودعوا إلى التفرقة بين القيادة السياسية للفقير ومرجعية التقليد (٢٨) .

وقد أبرزت هذه التطورات تصاعد حدة القلق تجاه محاولات رجال الدين الذين يتولون سلطات رسمية فى الدولة بطهران إنهاء استقلالية المؤسسة الدينية - خاصة فى قم ذات التأثير الشعبى الواسع والتى مازال بها شخصيات ذات ثقل سياسى وجاهيرى مثل آية الله منتظرى ، وهى شخصيات تستطيع انتقاد الدولة بحرية متمسكة بحصانة موقعها الدينى والفقهى وبوجودها خارج السلطة .

٦ - دور المعارضة فى الخارج :

رغم الاتهامات الضمنية التى وجهتها أجهزة سياسية وإعلامية موالية للسلطة فى طهران لمنظمة مجاهدى خلق إيران الموجودة بالخارج ، فإن المنظمة لم تعلن مسئوليتها عن محاولة اغتيال الرئيس رفسنجانى ، أو عن اضطرابات مدينة زاهدان . إلا أن المنظمة قد استغلت هذه الأحداث لمحاولة تعبئة أنصارها والجاهير داخل إيران للإخلال باستقرار الحكم تمهيدا لإسقاطه . واعتبرت حوادث زاهدان دليلا على التمييز الدينى ضد السنة فى ظل النظام الحالى الذى اتهمته بتدمير مساجد السنة . وأشارت إذاعة المجاهدين إلى حدوث تظاهرات فى إقليم خراسان ضد الحكم . وعقب محاولة اغتيال رفسنجانى ، دعت المنظمة الشعب الإيرانى للثورة وتدمير مراكز القوة والأجهزة القمعية للنظام الحاكم . كما عمدت إلى استغلال الأحداث الداخلية لصالح دعم شعبيتها ومصداقيتها أمام الشعب الإيرانى من خلال تنظيم مناورات عسكرية فى بدايات ومنتصف فبراير ١٩٩٤ على الحدود العراقية / الإيرانية بمشاركة آلاف من مقاتلى جيش التحرير الوطنى التابع للمنظمة ، ومدركات ومدفعية وطائرات هليكوبتر وراجمات صواريخ . ورغم نجاح الإذاعة التابعة لمجاهدى خلق نسيبا . فى الترويج للمنظمة داخل إيران وانتقال مريم رجوى - الرئيسة القادمة لإيران حسب منظمة مجاهدى خلق إيران طبقا لانتخابها من قبل المجلس الوطنى للمقاومة الإيرانية فى أغسطس عام ١٩٩٣ - وهو انتخاب أعلن عنه فقط فى أكتوبر عام ١٩٩٣ - إلى باريس للعمل فى ظل إجراءات أمنية فرنسية مشددة ، فإن الكثيرين يأخذون على مجاهدى خلق بداياتها التى اتسمت بتبنى العنف السياسى ، وهو ما عادت إليه عقب نزولها إلى

العمل السرى عقب يونيو عام ١٩٨١ ، مما أثار حفيظة قطاعات من الشعب الإيراني ضدها ، وكذلك وجود قاعدتها وقيادتها في العراق خلال الحرب العراقية / الإيرانية باعتبار هذين العاملين ينالان من شعبية المنظمة في صفوف الجماهير الإيرانية كبديل سياسى للحكم القائم . كما يشير عدد من المراقبين إلى أن المنظمة تبدو تحت رحمة الحكم العراقي ، نظرا لوجود قياداتها وكوادرها وقواتها المسلحة بالعراق ، وإنه إذا حدث تقارب بين النظامين الحاكمين في طهران وبغداد ، فإن الصفة قد تتضمن التضحية . بمنظمة مجاهدى خلق (٢٩).

رابعا : خاتمة :

إذا كان كل من محاولة اغتيال الرئيس رفسنجانى ، وأحداث مدينة زاهدان قد ألصقت بقوى أجنبية وعملائها وتم تفسير هدفها بأنه محاولة لإظهار وجود حالة من عدم الرضا الشعبى تجاه نظام الحكم ، فإن هدفا آخر لتلك الأحداث — طبقا لمسؤولين إيرانيين (٣٠) .

كان العمل لتأجيج الخلافات بين المعتدلين والمتشددين في صفوف الدوائر الحاكمة في إيران . وسواء نجحت تلك الأحداث في تحقيق هذا الهدف من عدمه ، فإن هذه الخلافات تبقى مفتوحة على كل الاحتمالات ونذكر هنا أن كافة الفرقاء في إيران مازالوا يلجئون إلى أقوال آية الله الخميني وممارساته لإضفاء شرعية ، وبالتالي الحصول على دعم لمواقفهم وآرائهم ، ويتهم كل طرف مخالفيه في وجهات النظر بخيانة نهج الخميني .

ولاشك أن هناك الكثير من الصحة في إعلان الرئيس رفسنجانى عقب محاولة اغتياله بأن المحاولة هدفت إلى إحداث هزة في ثقة الناس بالثورة . إلا أن الوجه الآخر لهذا الإعلان هو أن محاولة الاغتيال وماسبقها أو صاحبها أو تلاها من تطورات قد مثلت اختبارا لمدى تماسك الحكم الإيراني ومدى شعبية وقوة الرئيس الإيراني ذاته .

وسواء قرر الرئيس رفسنجانى - خاصة في ضوء نتائج انتخابات مارس ١٩٩٦ النقابية التي لم يحقق أنصاره الأغلبية خلالها - رغم تحالفهم مع عناصر من اليسار الإسلامى داخل السلطة الإيرانية - بل نال الأغلبية مرة أخرى اليمين الإسلامى التقليدى والمحافظ - العمل على توحيد صفوفه وأنصاره مع واحدة أو أكثر من المجموعات المشاركة في الحكم — حتى ولو دفعه ذلك إلى تقديم تنازلات تتصل بمسائل سياسية أو

اقتصادية أو ثقافية أو اجتماعية ، تمثل تراجعا عن موافقه أو نياته السابقة ، أو قرر الرئيس مواصلة تنفيذ سياساته رغم المعوقات المطروحة من جهات متعددة - سواء داخليا أو دوليا ، فإن هذا سيبقى أيضا سؤالا مفتوحا على كل الاحتمالات .

وربما كان تشدد الرئيس الإيراني - عقب محاولة اغتياله - وإحياؤه للخطاب السياسى الثورى ، والهجوم الشديد على الولايات المتحدة لخدمة أحد هدفين - أو الاثنين معا - : إخفاء الصراعات والخلافات الموجودة داخل صفوف الحكم أو على الأقل عدم تصعيدها ، أو الحيلولة دون المزايدة عليه فى حالة نيته م اتخاذ بادرات إيجابية تجاه الولايات المتحدة فى المستقبل والتوسع فى اتجاهاته للانفتاح الاقتصادى ، وربما الثقافى والسياسى أيضا .

ولاشك أن الثورة الإيرانية تقف منذ أحداث عامى ١٩٩٣ و ١٩٩٤ على مفترق طرق هام وبارز قد يكون حاسما أيضا . وقد أقرت صحف شبه رسمية إيرانية ^(٣١) بوجود خلافات فى صفوف كل من المثقفين والسياسيين فى إيران حول ما إذا كانت الثورة الإيرانية قد أنجزت بالفعل مرحلة بناء الدولة ومؤسساتها وتحقيق الاستقرار ، أم إنها لم تزل دون اجتياز هذه المرحلة .

الهوامش

(١) IRAN FOCUS, October 1993, pp. 2,5.

انظر أيضا : P.5. IRAN FOCUS, November 1993,

— عبد الحسن الأمين « تحولات اللغة السياسية بعد ١٥ سنة على الثورة الإيرانية . الحياة ١١ فبراير عام ١٩٩٤ . ص ١٨ .

— مجلة الوسط ، ١٤ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ٢٩,٧ — أحمد سلامتيان . « الثورة الإيرانية تسحقها تناقضاتها . لوموند دبلوماسيك . يونيو ١٩٩٣ ص ٩ (باللغة الفرنسية) .

(٢) IRAN FOCUS, November 1993, P.5.

انظر أيضا :

— محمد الرميحي . « إيران الدولة بعد ١٥ عاما على الثورة » . الحياة ١٦ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ١٥ .

— محمد حسن البحراني « الدبلوماسية الإيرانية ومحاولات الحصار الأمريكي » كيهان العربي ١٢ فبراير عام ١٩٩٤ . ص ٤ .

— عبد الحسن الأمين . مصدر سبق ذكره . ص ١٨ .

(٣) IRAN FOCUS, November 1993, PP. 14 - 15.

- IRAN FOCUS, December 1993, P.5.

انظر أيضا :

— خير الله خير الله . « إيران تتغير » . الحياة ٣٠ فبراير عام ١٩٩٤ . ص ١٥ .

— عبد الحسن الأمين . مصدر سبق ذكره . ص ١٨ .

- IRAN FOCUS, November 1993, P. 13. (٤)

— انظر أيضا :

- IRAN FOCUS, October 1993 , P. 5.

— مجلة الوسط ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠ .

— الرميحي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٥ .

(٥) سلامتيان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩ .

انظر أيضا : مجلة الوسط ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠ .

(٦) IRAN FOCUS, November 1993, P. 13.

انظر أيضا :

- IRAN FOCUS, December 1993, P.2. (٧)

— إذاعة الشرق (باريس) . ١ - ٧ مارس عام ١٩٩٤ .

— جريدة الحياة . بعض أعداد يناير ، فبراير والأسبوع الأول من مارس عام ١٩٩٤ .

— عبد الحسن الأمين ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨ .

(٨) كيهان العربي . ٥ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ٢ ، وعدد ١٢ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ٣

انظر أيضا :

- IRAN FOCUS, November 1993, P.10

- عبد الحسن الأمين ، مصدر سبق ذكره ص ١٨ .

IRAN FOCUS, November 1993, P.15. (٩)

(١٠) « الثورة تحتاز مرحلة البلوغ » . افتتاحية كيهان العربى . ١٢ فبراير عام ١٩٩٤ .

انظر أيضا :

- الحياة . ٤ فبراير عام ١٩٩٤ .

- الوسط ، مصدر سبق ذكره ص ١٨ ، ١٩ ، ٤٠ .

- « إيران : عملية صعبة لتحرير الاقتصاد بعد ١٥ عاما على ثورة المحرورين » . الحياة . ٣٠ يناير عام

١٩٩٤ . ص ٤ .

- وضاح شرارة ، « إيران : طوق العمامة » الحياة . ١٨ فبراير عام ١٩٩٤ . ص ١٧ .

(١١) الوسط ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٩-٤٠ .

انظر أيضا :

- الحياة . ٣٠ يناير عام ١٩٩٤ ز ص ٩ ، وعدد ٤ فبراير عام ١٩٩٤

- « إيران » عملية صعبة لتحرير الاقتصاد . . « مصدر سبق ذكره ، ص ٤ .

- شرارة ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٧ .

- MIDDLE EAST ECONOMIC SURVEY (Mees) , 10 17,24 January 1994.

(١٢) كيهان العربى . ١٢ فبراير عام ١٩٩٤ .

انظر أيضا :

- IRAN FOCUS, November 1993, P. 2.

(١٣) الوسط . مصدر سبق ذكره ، ص ١٨ .

انظر أيضا :

- IRAN FOCUS, November 1993, PP. 9 - 10 .

- IRAN FOCUS, October 1993, P. 5 .

- الحياة . عددا ١٥ و ١٦ فبراير عام ١٩٩٤ .

- سلامتيان ، مصدر سبق ذكره ، ص ٩ .

- MIDDLE EAST INTERNATIONAL. 4 December 1992, PP. 3 - 5 . (١٤)

انظر أيضا :

IRAN FOCUS, DECEMBER 1993, P. 2

AFP, 11 Fevrier 1994.

- الحياة ، ١٦ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ٤ .

- كيهان العربى ، ٥ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ٢ .

(١٥) الوسط ، مصدر سبق ذكره . ص ١٧-٣٠ .

انظر أيضا :

- الحياة . ٤ فبراير عام ١٩٩٤ ، وعدد ٧ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ٤ .

- حازم صاغية ، « المأزق الشامل » ، الحياة ، ٨ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ١٥ .
- IRAN FOCUS, December 1993, P.2 .
- (١٦) الوسط ، مصدر سبق ذكره . ص ٢٠ .
- (١٧) كيهان العربى . عددى ١ و ١٢ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ١-٣
- MIDDLE EAST INTERNATIONAL,
- مصدر سبق ذكره ، ص ٢-٥ .
- (١٨) الحياة ، ٤ فبراير عام ١٩٩٤ .
- انظر أيضا : الوسط ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٩-٢٠ .
- (١٩) منظمة مجاهدى خلق إيران . نشرة مجاهد ، عدد ١٥ فبراير عام ١٩٩٤ .
- (٢٠) الحياة ، ٩ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ٨ ، وعدد ٤ فبراير عام ١٩٩٤ وعدد ٢ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ١
- انظر أيضا :
- القدس ، ١٢-١٣ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ٢ .
- كيهان العربى ، ١٢ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ٤ .
- (٢١) الحياة ، ٩ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ٨ .
- (٢٢) المصدر السابق ، ص ٨ .
- انظر أيضا :
- كيهان العربى ، ١٢ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ١ ، ٥ .
- القدس ، ١٢-١٣ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ٢ .
- (٢٣) عبد الحسن الأمين ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨ .
- انظر أيضا :
- الحياة ، فبراير عام ١٩٩٤ .
- كيهان العربى ، ٥ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ٢ .
- (٢٤) . IRAN FOCUS, October 1993 , PP, 10 - 11 .
- انظر أيضا :
- IRAN FOCUS, November 1993, P.10.
- IRAN FOCUS, December 1993, P.2.
- حازم صاغية ، مصدر سبق ذكره ، ص ٤ .
- الوسط ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٨ .
- (٢٥) - IRAN FOCUS, December 1993, PP. 2, 11 .
- انظر أيضا :
- IRAN FOCUS, October 1993, P. 2.
- INTERNATIONAL HERALD TRIBUNE, 14 February 1994 and 15 February 1994.
- FINANCIAL TIMES, 14 February 1994.

INTERNATIONAL HERALD TRIBUNE, OP, CIT (٢٦)

مصدر سبق ذكره .

انظر أيضا :

- FINANCIAL TIMES,

مصدر سبق ذكره . انظر أيضا : كيهان العربي ، ١٩ فبراير عام ١٩٩٤ .

MIDDLE EAST INTERNAL, 4 February 1994, P. 19. (٢٧)

انظر أيضا : سلامتيان ، مص مص در سبق ذكره . ص ٩ .

MIDDLE EAST INTERNAL, 4 February 1994, P. 19. (٢٨)

" IRAN : Daring to Say No. " The Economist 12 February 1994 , PP. 40 - 42. (٢٩)

انظر أيضا : الحياة ٧ فبراير عام ١٩٩٤ . و ٢ فبراير عام ١٩٩٤ ، ص ١ .

(٣٠) الوسط ، مصدر سبق ذكره ، ص ٢٠ .

(٣١) « الثورة تحتاز مرحلة البلوغ » ، مصدر سبق ذكره ، ص ١

الخاتمة

أثبتت أحداث الحالة الإيرانية وتطوراتها أنه من جهة ، قد تولدت تناقضات بمرور الوقت بين التزامات عقائدية معلنة ذات نزعة ثورية ، وبين السلوك الفعلي سواء في السياسة الداخلية أو الخارجية ، وإنه على صعيد الممارسات العملية ، تدخلت أحيانا اعتبارات المصلحة القومية الإيرانية للحد من هيمنة النزعات الأهمية الإسلامية ، ومن جهة أخرى استمرت الأفكار في تشكيل إطار عام يجد أحيانا من مدى الواقعية والبراجماتية ، اللتين قد تتمتع بهما بعض القيادات السياسية - بل والدينية - خاصة أن هناك أمورا أظهرت الممارسة صعوبة إبداء المرونة فيها نتيجة اتصالها مباشرة بأحكام وتوجهات عقائدية . فرغم أن الدلائل أشارت في مرحلة ما إلى اتجاه عام للبراجماتية ، وتغليب المصالح الوطنية على الاعتبارات العقائدية في عملية صنع السياسة داخليا وخارجيا - خاصة منذ تولى الرئيس على أكبر هاشمي رفسنجاني مقاليد السلطة - فإن أحداث السنوات الماضية توحى بأن المسائل لم يتم حسمها بعد بهذه السهولة ، وإن الأمور لا تزال تتحرك في اتجاه بندولي . وقد دل على ذلك تحرك الحكم الإيراني بشكل بندولي حول عدد من مسائل السياسة والاقتصاد والثقافة والمجتمع عبر السنوات الماضية ، واستخدام رموزه لغات خطابية سياسية متباينة ، اعتمادا على الساحة التي يتحدثون فيها والمستمعين إلى خطابهم السياسى ، دون أن يعنى ذلك إنكار وجود تباينات في صفوف النخبة السياسية والثقافية والدينية في داخل الحكم الإيراني . وتدور هذه التباينات حول مسائل أساسية أحيانا ومسائل فرعية أحيانا أخرى .

وسيحدد المستقبل مدى تصاعد ، أو تسوية ، أو حسم ، أو تمحور هذه التباينات على جبهات متعددة وطبقا لأنماط تحالفات متغيرة . كما سيرتبط نجاح التجربة الإيرانية بمدى تحقيق الانسجام بين الصياغات النظرية ، والعمل السياسى ، ومدى تجاوز المشكلات التى يتعين عليها مواجهتها والتعامل معها محليا وإقليميا ودوليا ، ومدى الارتباط بين الولاء الفكرى والعمل السياسى في مواجهة القضايا الأكثر إلحاحا في الواقع

الإيراني . وستجيب الأيام القادمة عما إذا كان النظام الذي أفرزته الثورة الإيرانية سيقدم على اجراء تغييرات - سواء ذات طبيعة استراتيجية أو تكتيكية - تتصل بمسائل سياسية، أو اقتصادية ، أو ثقافية ، أو اجتماعية بشكل يمثل تراجعاً عن نيات أو مواقف سابقة ، أو إذا كان قد قرر مواصلة تنفيذ مبادئه من سياسات رغم المعوقات النابعة من داخله أو المفروضة عليه من جهات متعددة - محلياً أو إقليمياً أو دولياً - وهو ماسيكون سؤالاً مفتوحاً على كل الاحتمالات . وبالتالي ، فإنه سيكون من الهام أن نترقب ماستأثى به الأيام القادمة في إيران من إجابات على أسئلة طرحتها الأحداث السابقة والراهنة ، حول قضايا عديدة منها ماهو داخلي وماهو خارجي ، ولكن سيكون لها جميعاً أثر بالغ يتعدى حدود النطاق المحلي ، أو الإقليمي .

ونحن ندرك تماماً الصعوبات العملية المحيطة بأى محاولة للتوصل إلى استنتاجات ذات طبيعة شاملة أو مطلقة من دراسة تجربة الثورة الإيرانية بما ينطبق على حالات أخرى في بقية أنحاء العالم الإسلامى . فالتجربة الإيرانية تتم في إطار معطيات محلية معينة وفي ظل بيئة اجتماعية وسياسية وخلفية تاريخية أهم ما يميزها الخصوصية الشيعية لإيران - بما في ذلك مركزية دور رجال الدين - والأحداث المتلاحقة منذ الثورة الإيرانية ضد الشاه ونظامه .

نبذة عن المؤلف

- حصل على درجة الدكتوراه في العلاقات الدولية من جامعة جنيف ، وكان قد حصل على درجتى البكالوريوس والماجستير في العلوم السياسية من الجامعة الأمريكية بالقاهرة .

- صدر له عام ١٩٩٤ كتاب بالإنجليزية بعنوان « الحركة الإسلامية في مصر : رؤى للعلاقات الدولية (١٩٦٧ - ١٩٨١) » عن دار كيغان بول بلندن ومعهد الدراسات الدولية بجنيف .

- كما صدر له بالعربية عام ١٩٩٣ كتاب « إيران : صعود وهبوط التيار الإسلامى التقدمى » عن دار المستقبل العربى بالقاهرة .

- وصدر له بالعربية أيضا عام ١٩٩٥ كتاب « جات العالم الثالث : النظام الشامل للأفضليات التجارية فيما بين الدول النامية » .

ثم صدر له في عام ١٩٩٦ كتاب « مانديلا وجنوب أفريقيا : بين الماضى والحاضر » عن دار المستقبل العربى بالقاهرة .

- وأخيرا صدر له باللغتين العربية والانجليزية كتاب « ثلاث دوائر إقليمية في السياسة الخارجية الإيرانية » عام ١٩٩٦ أيضا عن مركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية بالقاهرة .

- وللمؤلف دراسات منشورة في بعض الصحف الدورية باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية حول العديد من القضايا الإقليمية والدولية المطروحة على الساحة المعاصرة .

الفهرس

٤الاهـداء
٧المقدمة
١١الفصل الأول : الدكتور على شريعتى وتجديد الفكر الإسلامى
٣١الفصل الثانى : أضواء على دور آية الله طلقانى فى الثورة الإيرانية
٥٥الفصل الثالث : الجذور الفكرية للسياسة الخارجية الإيرانية
٦٩الفصل الرابع : إيران وجماعات العنف السياسى فى العالم الإسلامى
٩٧الفصل الخامس : إيران نحو الحسم، التصعيد أم الاستمرار؟
١٢٢الخاتمة

رقم الإيداع : ٩٧ / ٩٣٠٥
الترقيم الدولي : ٤ - ٣٨٨ - ٠٩ - ٩٧٧

مطابع الشروقة

القاهرة : ٨ شارع سيبريه المصرى - ت : ٤٠٢٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف : ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

إيران

دراسة عن الثورة والدولة

□ يعتبر هذا الكتاب - وبحق - مساهمة ذات قيمة وفائدة حقيقتين - وفي هذا الوقت بالذات - لمساعدة القارئ على فهم سيرة الثورة الإيرانية في أبرز معالمها وأهم محطاتها، انتهاء بوصول حجة الإسلام محمد خاتمي إلى سدة الرئاسة الإيرانية . ولا يقتصر هذا الفهم على القشور، بل يتعمق في أغوار الأحداث ليحللها ويربطها ببعضها البعض معتمداً على منهج موضوعي وعلمي .

□ وقد تناولت العديد من الكتابات الثورة الإيرانية وتاريخها وتطوراتها، ورغم كثرة ما كتب عنها فإن الكثير من جوانب هذه الصورة مازال بعيداً عن تناول أيدي الباحثين . وضمن تلك الجوانب شخصيات لعبت أدواراً رئيسية سواء في الإعداد للثورة أو في قيادتها أو في المراحل التي تلت انتصارها، وكذلك التطورات

المتلاحقة التي جعلت إيران في قلب الأحداث منذ عقد ونصف من الزمان، ومازال الأمر محل جدل عما إذا كانت الثورة الإيرانية قد أنجزت بالفعل مهام بناء الدولة ومؤسساتها ومعالم سياستها الداخلية والخارجية، أم أنها لم تجتز هذه المرحلة بعد؟

□ ويمثل هذا الكتاب في مجموعة - وبكل ما يحويه من دراسات - محاولة علمية وموضوعية وملتزمة في آن واحد، لاستكمال حلقة جديدة من حلقات فهم الثورة الإيرانية وما تبعها من تحولات، سواء على مستوى الفكر أو الأحداث، وانعكاساتها على الأصعدة المحلية والإقليمية والدولية .

دار الشروق

القاهرة ١ شارع سينما النصر - ١٢٣٣٩٩ - فاكس ٣٧٥٦٧
بغروت مصر - ١٠٦٤ - هاتف ٣١٥٦٥٩ - ١٧٧٢١٣ - فاكس ١٧٧٧٢٥